الجمهورية الجزائرية

الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث

العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص تراث ثقافي وإرشاد

سياحي

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر في تخصص التراث الثقافي والإرشاد السياحي

تحت عنـــوان:

ظاهرة الوعدة في الجزائر وعدة سيد الشيخ نموذجا

إعـــداد الطالبة

- قبشة الطيب

تحت إشراف الأستاذ(ة):

- قعدة العيد

السنة الجامعية 2017-2018 م

إهداء

أهدي عملي هذا الى :

الى عائلتي الكريمة خاصة الوالدة الغالية قاسيمي فاطمة اطال الله في

عمرها ورزقها الصحة والعافية والبركة

الى روح الوالد قبشة احمد الغالي وروح الأخت قبشةفتيحة وروح الجدة

بغدادي الحاجة رقية .

إلى روحه الطاهرة الجار الغالي مرسلي محمد .

الى اصدقائي ومعارفي وجيراني كل واحد باسمه الذين لم يبخلواعلى

بالنصيحة والتشجيع. الى الأستاذة قندوسي والأستاذ ورنيد الطيب.

الى كل من يعرفني وكل من اعانني ولو بالدعاء .

شكر وعرفان

أتقدم ،بأسمىآيات الشكر والتقدير الى الاستاذ المشرف" قعدة العيد "الذي كان

صبورا معي والذي كانا عونا لي من خلال توجيهاته وتصويباته .

كما أوجه أسمى عبارات الشكر والتقدير المكلّالذين مهدوا لي طريق

العلم والمعرفة،وإلى لجنة المناقشة على قبولها مناقشة بحثي هذا.

كما أتقدم بشكر خاص الى كل من شارك من بعيد أو قريب على بتوجيهاتهم

ومساعدتهم.

مـــحـتـويـــات البـحـــث

- **محتويات البحث :**

العـــــــنـــــــوان	الصفحة
شـكـر وعـرفـان	
إهـــداء	
محتويات البحث	
مـقـدمـة	أ-ب-ج
مـدخـل الدراســة	
1- دوافع اختيارالموضوع	09
2- أهداف البحث وأهميته	09
3- إشكالية البحث	10
4- . التساؤلات الفرعية	11
5- الفرضيات	11
6- منهج الدراسة	12
وسائل جمع البيانات	13
7- التعريفات الإجرائية	14

9- بعض الدراسات السابقة	16
10/ صعوبات الدراسة	17
الجانب النظري **الفصل الأول: الطرق الصوفية والزوايا**	
تـمـهـيـد	**20**
1/ مفهوم التصوف	**20**
2/ نشأة وتطور التصوف	**24**
3/ ظهور الصوفية	**30**
4/ أنواع التصوف	**31**
5/ بعض الرجال الصوفية	**34**
6/ بعض المؤتمرات الخارجية في التصوف	**35**
7/ التصوف في الجزائر	**37**
8/ التصوف في القرن 15 م	**39**
9/ أهم الطرق الصوفية في الجزائر	**41**
10/ الزوايا	**49**
1.10 تعريف الزوايا	**49**
2.10 تاريخ ظهور الزوايا	**50**

3.10 أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري	54
4.10 انواع أخرى من الزوايا	58
5.10 دور الزوايا	60
الفصل الثاني: مفهوم الوعدة، دوافعها ووظائفها	
تـــمـــهـــيـــد	62
مفهوم الوعدة	62
معنى النذر	63
النشر	66
الزردة	68
ممارسة الزردة	68
الفرق في ممارسة الزردة بين المدينة والريف	69
دوافع الاشتراك في الوعدة	70
1.7 الدوافع النفسية	70
2.7 الدوافع الاجتماعية والثقافية	73
3.7 الدوافع السياسية	75
8- وظائف الوعدة في المجتمع	77

1.8 الوظيفة الاقتصادية	83
2.8 التكافل الاجتماعي	88
3.8 الوظيفة الثقافية	90
4.8 الوظيفة الدينية	93
9. أثر التغيير على عادات وتقاليد الوعدة	95
10- العادات والتقاليد الشعبية بين الحديث والقديم	100
11- عادات تقديم الطعام	102
الجانب التطبيقي الفصل الثالث: وعدة سيدي الشيخ	
تـــمـــهـــيـــد	104
مجال الدراسة	104
1.1 المجال الجغرافي	104
2.1 المجال البشري للعينة	105
تعريف بالولي الصالح سيد الشيخ	106
1.2 مولده	107
2.2 نسبه	108
3.2 أسرته	108

4.2 نشأته	109
5.2 مشايخه	109
6.2 رحلاته في طلب العلم والتصوف	110
3- ظروف وتاريخ ظهور وعدة ركب سيد الشيخ وأصل التسمية	111
4- تحضير وسير الوعدة	113
5- برنامج الاحتفال	117
6- عرض ملخص المقابلات	125
7- عرض النتائج	141
8- مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات	146
الخـــاتـــمـــة	150
المـــلاحـــق	
قـــائـــمـــة الـمراجـع	
المـــلـــخـــص	

المقدمة

مـــقـــدمـــة:

يزخر التراث الجزائري بعادات وتقاليد كثيرة ساهمت في إنجازها الأجيال عبر العصور،منها ما يتعلق بالفنون ومنها ما يتعلق بالمعتقدات ومنها ما يتعلق بالأدب وغيرها من عناصر التراث المادي واللامادي.ومن ابرز الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لاتزال مستمرة في مجتمعنا ظاهرة "الوعدة".

تعتبر ظاهرة الوعدة واحدة من الظواهر التي برزت في المجتمعات التقليدية القديمة، إذ من خلالها يتم تقديس الجد المشترك، بحيث تقام له الولائم والأضاحي على شرفه اعتقادا من أصحابها أنها تصل إلى روحه الطاهرة هذه الأخيرة التي تقوم بدورها بمساعدة أصحابها في حياتهم أيام القحط و الجفاف والأزمات النفسية و الاجتماعية.

وتعتبر ظاهرة الوعدة واحدة من العادات التي ارتبطت بالتراث الشعبي الجزائري الواسعة الانتشار في القرى والمدن عبر أنحاء الوطن، وإذا نظرنا إلى شكلها الحالي فقد ظهرت منذ ظهور الأولياء الصالحين الذين كانت لهم كرامات في حياتهم انبهر منها الناس بحيث اعتقدوا أن هذه الكرامات تبقى سارية المفعول حتى بعد موت أصحابها، لذا تراهم يقدسون قبور أوليائهم فبنوا لها القباب وزينوها واعتنوا بها وصاروا يلجؤون لها في وقت الاضطرابات والأزمات ...، طبعا كان لكل قبيلة جد مشترك أو ولي يقدسونه، ونظرا لظروف الحياة وصعوبة توفر سبل ووسائل العيش اضطر هؤلاء إلى الأسفار بحثا عن

الرزق عن طريق القوافل التي كانوا يسافرون بها إلى الشمال والجنوب ، فاتفق هؤلاء على موعد يضربونه يلتقون فيه عند ضريح جدهم المشترك لزيارته والتبرك به والذبح عنده وإقامة الولائم لإطعام كل من يحضر ذلك المكان، فمنذ ذلك الوقت بدأت الوعدة تتبلور.

ومع بلوغ الإنسان لحظات متقدمة من التطور في مجالاته البشرية والعقائدية والثقافية، بدأت تتأصل الكثير من عاداته وطقوسياته المتوارثة بين الأجيال، ضمن كيانه الممارساتي المعبر بقدر ما عن هويته ورباطه بمعالم الأجداد، ومن ثمة غدت طقوسيات وإحتفاليات الوعدة واحدة من الطقوس الصوفية والطرقية التي ميزت علاقة الإنسان الشعبي بفضاء الأولياء والمرابطين، وعبرت بصفة أو بأخرى عن ولادة لإسلام معيش كما يقول بورديو أو الإسلام الطرقي أو الاسلام الشعبي كما يقول آخرون في أشكال ممارساتية يومية أو أسبوعية أو سنوية أو موسمية، كطقس الوعدة طقس دوري سنوي تقيمه العديد من العشائر والقبائل المغاربية حول أضرحة الصلحاء والمرابطين خصوصا المؤسسين لها[1].

ومن بين التعريفات التي وردت في تعريف هذه الظاهرة تعريف E . Dermenghem يقول:" إنها طقس يقام على شرف الولي الصالح، لأجل إبعاد الشر وتحقيق الأماني والشفاء والنجاح... "[2]، كما تعرفها Sossie Andezian بأنها: " عادة طقوسية احتفالية تقام حول قبور الأولياء تقدم فيها الأضاحي لتحقيق الأماني المرجوة "[3].

[1]بوشمة الهادي، الوعدة التمثل والممارسة، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 39-40 ،جانفي- جوان، 2008، ص84.
[2]Dermenghem, Emil, le Culte des Saints dans L'Islam Maghrébin, Paris, Gallimard, 1954, pp, 152-153 .
[3]Andezian, Sossie, Expériences du divin dans L'Algérie contemporaine, Adeptes dans Saints dans la région de Tlemcen, Paris, CNRS Editions, 2001, p. 122 .

من خلال التعريفين السابقين نستنتج مدى تعلق وتجذر تقديس الأفراد للأولياء والخوف والحذر منهم وطلب رضاهم وتوقي سخطهم والتفاؤل عند دعائهم لطلب مستقبل أفضل خالي من الشرور، إنهم يعتقدون اعتقادا جازما أن أرواح الأولياء الصالحين تتصرف وتنتقل بكل حرية وتؤثر في حياتهم اليومية الحاضرة والمستقبلية ، إن اعتقادهم هذا يدفعهم إلى إقامة الولائم والمحافل الموسمية و السنوية التي تقلل من قلقهم وخوفهم، ومن بين هذه الولائم ظاهرة الوعدة التي هي محل الدراسة.

ولتناول هذا الموضوع قسمت مذكرتي إلى جانبين، جانب نظري وجانب تطبيقي، تناولت في الجانب النظري فصلين:الفصل الأول يحتوي على الطرق الصوفية والزوايا ، أما الفصل الثاني يضم الوعدة دوافعها ووظائفها، ننتقل لنتحدث عن الجانب التطبيقي أو الميداني الذي تطرقنا فيه بصفة مباشرة لوعدة الولي سيدي الشيخ او ما يعرف ب "ركب الأبيض سيدي الشيخ " ببلدية الأبيض سيد الشيخ ولاية البيض، عرفنا في هذا الفصل بالولي الصالح سيدي الشيخ ، وكذلك طرق تحضير وسير الوعدة في هذه المنطقة، وتكلمنا في الأخير عن عرض النتائج و مناقشتها.

1. دوافع اختيار الموضوع:

1.1 الدوافع الموضوعية:

لعل أول ما دفعني لاختيار هذا الموضوع أنه موضوع أنثروبولوجي ثقافي محض يصب في صميم تخصصي، ثقافات و مجتمعات .

ثانيا أني لاحظت أن هذه الظاهرة متفشية بكثرة و قلة الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة .

2.1 الدوافع الذاتية:

إنتمائي إلى مجتمع تقليدي تكثر فيه مثل هذه الظواهر، منها ظاهرة الوعدة التي أثارت ملاحظتي السوسيولوجية مما دفعني أجعلها موضوع مذكرتي.

2. أهداف البحث وأهميته:

- ملاحظة هذه الظاهرة ملاحظة علمية أكاديمية من أجل دراستها دراسة صحيحة.
- معرفة أسباب بقاء هذه الظاهرة الشعبية التقليدية رغم اندثار الكثير من القيم الاجتماعية.
- التعرف على أسباب دعم السلطات المحلية لهذا الحدث .
- دراسة مجتمعنا الذي نعيش فيه لأننا أصبحنا نعيش في واقع نجهل الكثير عنه.

أما بالنسبة لأهمية البحث فان هاذا الأخير يكتسي طابعا هاما في كونه يعد من البحوث الجديدة التي تتطرق الى هاذا الموضوع الذي كان ولايزال من الطابوهات التي يجب مقاربتها لما لها من حساسية كونها ترتبط بقسم واسع من فئات الشعب وموروثاته الثقافية وبتدينه ومعتقداته ، اضافة الافتقار المكتبة الجزائرية الى مثل هذه الدراسات ، وكذا إثراء الثقافة الشعبية.

3. إشكالية البحث:

تعد ظاهرة الوعدة من الظواهر الانثروبولوجية الواسعة الانتشار في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، ولها أسبابها ودوافعها ،كما ان لها تاريخ كبير في كل المناطق خاصة المنطقة التي اريد دراستها(منطقة الأبيض سيدي الشيخ) ،حيث تعتبر الوعدة من المنظور الانثروبولوجي حدثا كبيرا وهذا بسبب أهميتها الكبيرة لدى سكان المنطقة قديما وحديثا كمحاربة التفكك الاجتماعي وغيرها ونظرا للعلاقة الكبيرة بين الوعدة والرابطة القبلية من جهة ومن جهة أخرى أسباب بقائها واستمراريتها الى اليوم رغم التقدم والعصرنة .

يرى "موريس أنجرس" بأن :" مشكلة البحث هي كل ما من شأنه أن يثير تساؤلا , أي كل ما يبدو عليه أنه يتطلب دراسة... وأن صياغة المشكلة تؤدي الى طرح تساؤل حول واقع نريد معرفته في إطار يسمح ببحثه امبريقيا ".[1]

[1]سفاري ميلود : الاشكالية في العلوم الاجتماعية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، قسنطينة ، جامعة منتوري ، 1999 ص 73.

ومن خلال القراءة النظرية و الاستطلاعات الميدانية تبدى لنا طرح الإشكالية التالية:

- لماذا أصبحت الوعدة اليوم تشكل أداة الرابطة القبلية نيابة عن البنى القرابية التقليدية التي إنتثرت و إندثرت من خلال تصادمها مع الفردانية و العصرنة ؟

4. التساؤلات الفرعية:

– ماهي الأسباب الجوهرية الكامنة وراء تواجد واستمرارية ظاهرة الوعدة ؟

– لماذا تبقى الوعدة اليوم مستمرة رغم كل التغير السريع في البنى الاجتماعية ؟

– لماذا نلاحظ مباركة الجماهير الشعبية الغفيرة و حتى السلطات المحلية لظاهرة الوعدة رغم نفور بعض التيارات الدينية منها ؟

– كيف نبرر حرص شيوخ القبائل على إقامة الوعدة في موعدها المحدد رغم كل الظروف الحاصلة ؟

5. الفرضيات:

1.5. الفرضية العامة :

– الرغبة ي التلاحم الاجتماعي بين فرق العرش ومقاومة التشتت الذي تعرض لهذا الأخير هي ما جعل الوعدة تشكل أداة للرابطة القبلية .

2.5. الفرضيات الفرعية :

– مؤسسة القبيلة هي المتغير الأساسي في الحفاظ على ظاهرة الوعدة .

– الوعدة اليوم هي طقس يراد من خلاله محاربة اشكال التفكك الاجتماعي و الثقافي الحاصل في مجتمعنا الحالي .

6. منهج الدراسة :

يعرف المنهج أنه : " الكيفية التي يتم بها تنفيد شيئ ما حسب نظام معين انطلاقا من جملة مبادئ من أجل الوصول الى هدف معين ".[2]

و يصفه محمد أحمد البيومي بأنه : " مجموعة الخطوات التي يعتمد عليها الباحث من أجل تنظيم العمل الذي يقوم به قصد التمحيص و تقصي الحقائق ، إنه أسلوب يسير عليه الباحث لكي يحقق الهدف من بحثه ".[3]

أما مناهج البحث فهي الطرق التي يسير عليها الباحث في دراسته للظواهر قصد الوصول لنتائج يقينية حول الاسباب التي تخضع لها ، و المناهج ليست كومة يختار منها الباحث ما يشاء لدراسة الموضوع الذي يريده وإنما هناك علاقة بين المنهج و موضوع البحث .

إنموضوعنا يلم بظاهرة الوعدة في الجزائر"وعدة سيدي احمد المجدوب نموذجا "

- **فما هو المنهج الصالح لدراسة هذا الموضوع ؟**

[2] زعيمي مراد ، التكامل المنهجي في البحث ، مجلة دراسات في المنهجية ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص 67 .
[3] محمد أحمد البيومي، علم الاجتماع ، دار الجامعية ، مصر ، ص 33 .

إن هذا الموضع يتطلب تصويرا للموضوع الراهن و تحديد العلاقات بين الظواهر و الاتجاهات التي تسير في طريق النمو و التطور و التغير وهذا ما ينطبق تمام الانطباق على المنهج الوصفي الذي لا يعني مجرد الوصف لما هو ظاهر للعيان ، و بهذا يصبح المنهج الوصفي التحليلي يقتضي جمع المعطيات من الواقع ومن التاريخية قصد الربط بينهما أو بمعنى آخر دراسة الظاهرة نظريا من خلال الدراسة التاريخية لتطورها و التوصل إلى الاستنتاجات النظرية التي قد تشكلإرهاسات لفرضيات يتم التأكد منها عن طريق الميدان بعد دراسة .

7. وسائل جمع البيانات:

لقد استخدمنا الملاحظة البسيطة و الملاحظة بالمشاركة و تقنية المقابلة لجمع المعلومات حول هذا الطقس و تعتبر الملاحظة خطوة أساسية من خطوات المنهج العلمي، أما الملاحظة بالمشاركة فقد استخدمناها اعتقادا منا أن مثل هذه المواضيع تتطلب استعمال هذه الاداة وهي التي يكون الباحث فيها جزءا من الجماعة التي ينوي دراستها و ذلك من خلال المشاركة في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ، أما استعمالنا لتقنية المقابلة ذلك لكي نكون قريبين من مبحوثينا ونلاحظ كل كبيرة و صغيرة عنهم و ملاحظة تصرفاتهم و انفعالاتهم و أخذ الحقيقة الكاملة منهم .

8. التعريفات الإجرائية:

تحديد المفاهيم النظرية:

- الوعدة :

هي تنظيم طقسي اعتادت على احيائها المجتمعات المغاربية والمجتمع الجزائري بشكل خاص، وهي مرتبطة بالحياة الزراعية بحيث يقومون بوليمة احتفالية في مواعيد محددة وتقام الوعدة باسم الولي اعترافا من الناس بالجميل لما حصل لهم من بركاته ، ورجاء منه الحصول على تلك البركة مجددا في الموسم المقبل ، والغرض منها التقرب من ذلك الولي الصالح لكي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث وتولم الوليمة وتقدم الأطعمة إلى الوافدين إلى الوعدة.

- الزردة :

هو حج طقسي يقام مرة أو مرتين كل عام للولي وخلاله تقوم العائلات بزيارة الضريح والتبرك به، وتلي العبادة الانتقال الوراثي عبر الأجيال لإحدى العائلات، وتتجدد بصورة منتظمة مظهرة وجود البركة التي يعتقد كل واحد أنه ممسك بها، وفي هذه الحال تقع تكاليف الاحتفالات من اطعام وتجهيز على عاتق الجميع بالتضامن ، وعرفت الزردة في شرق البلاد .

- **الزوايا:**

هو مكان ينزوي فيه الناس بغرض الذكر والعبادة وتصلح للعابر والمقيم، فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، اما الانزواء وهي صفة أطلقت على الإنسان الذي تفرد بنفسه اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد وأداء وظائف أخرى، فنسب الزاوية الى ذلك المكان.

- **التراث:**

هو ذلك الموروث المعرفي الثقافي المتوارث له صلة بين ماضي الأمم و حاضرها و يسهم في صياغة مستقبلها فهو ما ينتقل من عادات و تقاليد و علوم و آداب و فنون من جيل إلى جيل أخر، وهو يشمل كل الفنون و المأثورات الشعبية من شعر و غناء وموسيقى و معتقدات شعبية وقصص و حكايات و أمثال تجري على ألسنة العامة من الناس وعادات الزواج و المناسبات.

- **التصوف:**

وهو البساطة والزهد في الدنيا والعبادة الله والسهر على تعاليم القران الكريم والأخلاق الحميدة وإخماد الصفات البشرية والتعلق بالعلوم الربانية أي عزوف عن الدنيا و زينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من مال و جاه و الانفراد للعبادة الله وحده.

9. بعض الدراسات السابقة:

❖ **بووشمة الهادي 2008 تحت عنوان" رسالة ماجيستير** الوعدة التمثل والممارسة دراسة أنتروبولوجية بمنطقة أولاد نهار" وهي دراسة هدفت الى معرفة دافعية هذه المجتمعات المحلية اليوم في ممارسة هذه الطقوسيات ورمزياتها الثقافية وبنياتها الاجتماعية في ضل الظروف التي تدفع الكثير لتغير ذلك ، وقد أعتمد الباحث على المنهج الأنثروبولوجي التقليدي محاولا من خلاله مقاربة الظاهرة لتحقيق نوع من الفهم والتحليل والتفسير باستعمال تقنية الملاحظة بالمعايشة، والمشاركة معه في هذه الإحتفاليات ومختلف طقوسيتها وتوظيف فئة المخبرين والاعتماد على المقابلة نصف موجهة كأدوات وتقنيات لتحقيق البحث.

وقد كشفت نتائج الدراسة على عدة نقاط من أهمها:

– ان استمرارية القيام بالوعدة هو كضرورة لفرض هذا العرش لنظام الضبطي الرقابي المتوارث بينهم ، الذي يضبط سلوكياتهم وممارستهم بشكل ينتظمون من خلاله وتوحد وجودهم ويعزز تضامنهم وتحل العديد من المشاكل بقوانين عرفية بعيدا عن السلطة القانونية للدولة في الكثير من الأحيان.

– إن الوعدة اليوم اضحت مرتبطة بزمن اجتماعي تضبط من خلاله القبيلة تفاعلات أفرادها فهي تتوسط لحظات الخصب سواء من خلال المحصول أو من خلال بدا عملية الحرث وبالتالي الاجتماع هو نوع من التضامن في كلتا الحالتين .

10. صعوبات الدراسة:

- قلة المراجع التي تصب في هذا الموضوع مباشرة.

- وقوع الظاهرة بعيدا عن مقر سكناي الذي يتطلب مني استأجر بيت للإقامة فيه لمدة ثلاثة أيام من أجل معايشة احتفال الوعدة المكوث لأيام.

- زمن وقوع الظاهرة أنها تحدث مرة في العام و تدوم ثلاث أيام فقط هذا ما يقلل الدراسة المعمقة لها.

الفصل الأول

الفصل الأول:

الطرق الصوفية والزوايا

تمهيد :

إن التصوف قديم جدا عند العرب ، ولبس الصوف كان علامة التقشف وقد كان أوائل الزهاد يستخدمون لباس الصوف مما تسبب في تسميتهم بالمتصوفين ومنأبرز القائلين بهذا الرأي من الصوفية القدامى ، السرج الطوسي ، صاحب كتاب "اللمع" وزكرياء الانصاري شارح "الرسالة القشيرية" وابن تيمية وابن خلدون و غيرهم .[1] وقد نشأ التصوف نشأة إسلامية الى غاية نهاية القرن الثاني للهجرة حيث كان الخلفاء الراشدون يميلون الى البساطة و الزهد في الدنيا و العبادة معتمدين في ذلك على تعاليم القران و تجربة حياة الرسول صلى الله عليه و سلم ، و قد تميز الاسلام في هذا العصر ببساطة كبيرة للطقوس و عفوية الايمان .

1. مفهوم التصوف :

1.1 الاشتقاق اللغوي:

تنسب الصوفية إلى الصوف ، لأنه غالب لباس الزهاد من المتقدمين ، ومنهم من قال إنه من الصوفة لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة ، لاستسلامه لله تعالى

وقال آخرون : اشتقاقه من الصفة ، وأن أصل هذه الطريقة مأخوذة عن أهل الصفة وهم المهاجرون الذين اختصوا بالسكن في صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل أبي هريرة الدوسي و أبي ذر الغفاري.

[1] عبد الرحمان عميرة ، التصوف الاسلامي منهجا و سلوكا ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ص 10

2.1المعنى الاصطلاحي:

وقد وردت له تعاريف عدة من بين المتقدمين : كمعروف الكرخي الذي يعرف التصوف بقوله :" التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[2]

وقد حاول بعض المؤرخين الوصول إلى تعريف للتصوف بالعودة إلى الاصول التي استعملت فيها هذه الكلمة ، فقيل أن الرسول صلى الله عليه و سلم بنى زاوية خارج مسجد الصفاء بالمدينة، ذات حيطان ثلاثة، فكان بعض فقراء المسلمين وخاصة من أولئك المهاجرين الذين لم تؤمن لهم بيوت في المدينة يأوون إليها أثناء الحر و البرد[3]

وإذا نظرنا في قوله إنه إسم قديم، واستبعدنا ماجاء في أخبار مكة على أساس أنه وصف لحال شخص وليس رواية لقول حتى يكون الاسم معروفا للوصف الصوفي، فمن المهم قوله إن الحسن البصري استعمل هذا اللفظ [4]. ويعرفه متصوف اخر وهو سهل بن عبد الله التستري :" الصوفي من صفى من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب و المدر"[5]

أما أستاذ الطائفة الجنيد فقد عرفه بقوله :"تصفية القلب عن موافقة البرية ... و مفارقة الأخلاق الطبيعية و إخماد الصفات البشرية ... والتعلق بالعلوم الحقيقية"[6]

[2] القشيري ، أبو القاسم ، عبد الكريم بن هوازن ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، 127
[3] ، سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام ، دار الكتب اللبناني، ط3، سنة 1985 ، ص14 .
[4]عبد الرحمان بدوي، تاريخ التصوف الاسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، وكالة المطبوعات ،القاهرة، ط2، سنة 1978، ص7.
[5]السهروردي ، عوارف المعارف ،الطبعة الثانية دار الكتاب العربي ، بيروت .
[6]الكلباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق محمود أمين النواوي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ،2001، ص34

و على الارجح أن أغلب هذه التعريفات ، إتفقت على نعت التصوف بأنه عزوف النفس عن الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الناس من مال و جاه و الانفرا للعبادة .[7]

ويقول الشيخ أحمد زروق رحمه الله : " التصوف علم قصد لاصلاح القلوب و إفرادها لله تعالى عما سواه "[8]

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله : " التصوف تدريب النفوس على العبودية و ردها لأحكام الربوبية "[9]

وقال الحسن البصري رضي الله عنه : "لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ، ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا : كانوا يخرون من الجوع حتى يحسبهم الأعراب مجانين ، وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث . وقال بعضهم : إنه ليؤذيني ريح هؤلاء ، أما يؤذيك ريحهم ؟ يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا ، و قناعتهم بسد الجوعة و ستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس و راحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة ، وهذا الاختيار يلائم و يناسب من حيث الاشتقاق ، لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال تقمص إذا لبس القميص"[10]

[7] إبن خلدون ، عبد الرحمان ، بن محمد ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، 2004، ص462

[8] نفس المرجع نفس الصفحة .

[9] نقلا عن عبد القادر عيسى : حقائق عن التصوف ، مكتبة العرفان ، ط5 ، حلب ، سوريا ، 1993 ، ص8.

[10] إحسان أبي ظهير، التصوف المنشأ و المصادر، ط1 ، باكستان ، إدارة ترجمان السنة، 1986 ، ص26.

وقيل : سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزوجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه . وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك وجعل صوفيا ، وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين قال الله تعالى فيهم :(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض) الآية ، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى ، لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله و في الله ، كأصحاب الصفة ، وكانوا نحوا أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما و حديثا في الزوايا و الربط و كانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار، و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم القرآن و تلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم و يحث الناس على مواساتهم و يجلس معهم و يأكل معهم ، وفيهم نزل قوله تعالى: **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه)** وقوله تعالى : **(وصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي)** ونزل في ابن مكتوم قوله تعالى : **(عبس و تولى أن جاءه الأعمى)** و كان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه و سلم لأجله وكان صلى الله عليه و سلم إذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم، و كان يفرقهم على أهل الجدة و السعة

يبعث مع كل واحد ثلاثة و مع الآخر أربعة و كان سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين يطعمهم .[11]

2. نشأة و تطور التصوف :

لقد تنوعت أراء الباحثين في منشأ التصوف و ذلك من جهة سبب وجوده و انتشاره و تشابه الأفكار بما قبله من الأديان المنحرفة و المذاهب الجاهلية ، فبعضهم يدافع عن التصوف و يصَر على أن مصدره إسلامي و أنه متلقى من كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا مصدر له غيرهما ، و يزعم هؤلاء أن بداية التصوف هو مع نزول جبريل بالوحي على النبي صلى الله عليه و سلم و منهم من يجعل النبي عليه الصلاة و السلام أول صوفي وبعضهم يجعل بداية التصوف عند بعض الصحابة و أن الثلاثة نفر الذي أراد أحدهم ألا يتزوج و الاخر ألا ينام و الثالث ألا يفطر ...و منهم من يعد كبار الصحابة من الصوفية كأبي بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم ، ويبين شيخ الاسلام إبن تيمية رحمه الله أن الشيوخ الأكابر و المتقدمين المنسوبين إلى الصوفية ليس فيهم من دخل في الانحرافات الفلسفية و أن تلك الانحرافات دخلت بعد ذلك فيقول :" و الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمان السلمي في طبقات الصوفية و أبو القاسم القشيري في الرسالة كانوا على مذهب أهل السنة و الجماعة و مذهب أهل الحديث ، كالفضيل بن عياض و الجنيد بن محمد و سهل بن عبد الله التستري و عمرو بن عثمان المكي و أبو عبد الله محمد بن

[11] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

خفيف الشيرازي و غيرهم و كلامهم موجود في السنة و صنفوا فيها الكتب لكن بعض المتأخرين منهم كانوا على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ولم يكن أحد فيهم على مذهب الفلاسفة وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم و أعلامهم و تارة على صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم و تارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة [12]

إن أول بوادر ظهور التصوف ، و بروزه كظاهرة معروفة بهذا الاسم تعود إلى المائة الثانية من الهجرة وذلك نتيجة لما استجد في المجتمع الاسلامي منذ صدر الاسلام الذي كان السمة الغالبة على المسلمين في ذلك الحين الاقبال على الدين و الزهد في الدنيا [13] حتى عصر الخلافة العباسية، إذ نجد الناس تخلو عن الحياة العامة هربا من المشاكل السياسية و الاقتصادية التي صاحبت عملية التحضر و نشوء الامصار الاسلامية [14] وقد فصل ابن خلدون ظروف نشأته في بيئة تميز بظهور البدع في المعتقدات غدتها الفرق الاسلامية من معتزلة و رافضة و خوارج كل يدعي الزهد في الدنيا في مقابل ذلك تجندت فئة الفقهاء إلى الاهتمام بعلوم الدنيا كأحكام المعاملات و العبادات الظاهرة للفوز بمناصب الفتوى[15] ، وخلال القرنين 3 و 4 هجري ظهر التصوف في صورة تختلف تمام الاختلاف عن صورته الأولى ، حيث لم يقف عند حدود الزهد و المجاهدة و الرياضة و إنما تعد ذلك إلى غاية

[12] إبن تيمية ، الصدفية ، تحقيق محمد حسن إسماعيل ،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، 2000 ، ص157 .
[13] رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت 1999 ،ص555
[14] إبرهيم زكي خورشيف و اخرون ، دائرة المعارف الاسلامية ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ،13 / 275
[15] إبن خلدون ، شفاء السائل لتهذيب المسائل ، تعليق ، الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، بدون تاريخ ،29

بعيدة و هي الفناء أي فناء الإنسان و إتحاده بربه و ذلك على ما يبدو راجع بدرجة كبيرة إلى تأثره بالمذاهب الفلسفية القديمة من بوذية و فارسية و يونانية نتيجة لحركة الفتوحات الاسلامية التي تولد عنها الاختلاط بين الثقافات و لهذا انتشرت المتصوفة على امتداد الدولة الاسلامية و بالأخص خرسان و العراق [16] واستمر التطور و التصوف إلى حدود القرن السادس و السابع للهجري أصبح المتصوفة في جماعات منظمة و ظهر بعد ذلك ما يسمى بالطرق الصوفية ، فأصبح لكل طريقة شيخ ، وهذا ماحذى بأحد متصوفة القرن الثامن إلى التأكيد على أهمية الشيخ لسالك هذا الطريق بقوله :" الذي أراه أن الشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة أمر لازم ، لايسع أحد إنكاره [17]"

يقول الدكتور أحمد علوش : قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في صدر الاسلام ، وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة و التابعين ، و الجواب عن هذا : إنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الاول ، لان أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى و ورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يتسابقون و يتبارون في الاقتداء به في ذلك كله كمثل العربي القح، يعرف العربية بالتوارث كابرا عن كابر، حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة و الفطرة دون أن يعرف شيئا من قواعد اللغة و الاعراب و النظم و القريض، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو و دروس البلاغة، ولكن علم النحو وقواعد اللغة و الشعر تصبح لازمة

[16] محمود إدريس ، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية و أثرها السيئ على الأمة الاسلامية،ط1 مكتبة الرشيد للنشر و التوزيع،الرياض41
[17] إبن عباد الرندي ، الرسائل الصغرى ، نشر الأب بولس نويا اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1957 ص107.

و ضرورية عند تفشي اللحن، وضعف التعبير، أو لمن يريد من الاجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت و تألفت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة.[18]

بعدما أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئا فشيئا، وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب و الهمة، مما دعا أرباب الرياضة و الزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم أيضا على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه و جلاله وفضله عن سائر العلوم، ولم يكن ذلك منهم احتجاجا على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم – كما يظن ذلك خطأ بعض المستشرقين – بل كان يجب أن يكون سدا للنقص، واستكمالا لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط، مما لا بد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر و التقوى[19]

وقد بنى أئمة الصوفية الأولون أصول طريقتهم على ما ثبت في تاريخ الاسلام نقلا عن الثقات الأعلام أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله، فقد سئل عن أول من أسس التصوف ؟ وهل هو بوحي سماوي ؟ فأجاب: (أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الاحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه و سلم بعد ما بينها واحدا واحدا دينا بقوله: " هذا جبريل

[18] سيدي الشيخ عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، مرجع سابق ، ص12.
[19] أحمد علوش ،التصوف من الوجهة التاريخية. مجلة العشيرة المحمدية العدد 20،1376 هجرية.

أتاكم يعلمكم دينكم " [20] .فالإسلام طاعة و عبادة، و الايمان نور و عقيدة، و الاحسان مقام مراقبة و مشاهدة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"... ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك:(فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه ، فغاية ما تدعو إليه الطريقة و تشير إليه هو مقام الاحسان، بعد تصحيح الإسلام و الايمان)[21]

قال بن خلدون رحمه الله في مقدمته:

" وهذا العلم – يعني التصوف– من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين و من بعدهم طريقة الحق و الهداية، وأصلها العكوف على العبادة، و الانقطاع إلى الله تعالى، و الاعراض عن زخرف الدنيا و زينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال وجاه، والانفراد عن الخلق، و الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة و السلف. فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني و ما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على الدنيا باسم الصوفية[22] "

يقول أبو عبد الله محمد صديق الغماري:" و يعضد ما ذكره ابن خلدون في تاريخ ظهور اسم التصوف ما ذكره الكندي – وكان من أهل القرن الرابع– في كتاب (ولاة مصر) في حوادث

[20] جزء من حديث أخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
[21] محمد صديق الغماري ، الانتصار لطريق الصوفية ، مرجع سابق ، ص6.
[22] عبد الرحمان بن خلدون، مرجع سابق ص329.

سنة المائتين: إنه ظهر بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف. وكذلك ما ذكره المسعودي في (مروج الذهب) حاكيا عن يحيا بن أكنم فقال: إن المأمون يوما جالسا، إذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب، فقال : يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب، عليه ثياب بيض غلاظ، يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعض الصوفية ، فهاتان الحكايتان تشهدان لكلام بن خلدون في تاريخ نشأة التصوف ، وذكر في (كشف الظنون) أن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة خمسين و مائة"[23] وتعرض بعض المتصوفة نتيجة لأرائهم إلى السجن مثلما حدث لذي النون المصري[24] الذي كان شديد الحث على الفقر ، هاجم أهل عصره لاقبالهم على الدنيا فاتهم بشيء من الزندقة و بمحاولة تهديم المجتمع ، فاستدعاه الخليفة المتوكل إلى بغداد فحبسه مدة ثم رده إلى مصر وتعرض البعض الاخر إلى القتل كما حصل مع الحلاج [25] المتهم من طرف الفقهاء بالتأمر على الدولة و الزندقة فقتل . كما يقول حجة الاسلام أبي حامد الغزالي واصفا الصوفية :

"إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم هي أحسن السير و طريقهم أصوب الطريق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء و حكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم و أخلاقهم ، و يبدلوه بما هو خيرا منه لم يجدوا إليه سبيلا"

[23] محمد صديق الغماري ، مرجع سابق ، ص17- 18 .
[24] أبو عبد الرحمان ، طبقات الصوفية ، تحقيق ، نور الدين شريبة ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص15 .
[25] نفس المرجع ،ص307 ، 308

كما أردف يصفهم قائلا:" إن جميع حركاتهم و سكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، و ليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به "

و التصوف عند المسلمين أيضا يحمل الدلالة الواضحة على صلته الوثيقة و إلتحام نسبه بالمذهب العقلي ، هذا الالتحام الذي نستطيع إثباته في كل أطوار التاريخ العالمي ، لأن التصوف أيضا له أصوله و ليس الذي يقابله هو المعرفة العلمية النظرية بل المذهب الذي يقول به نبي يحس في أعماق نفسه بعقيدته ، ويكون مذهبه معرفة غير نظرية بل مباشرة وقائمة على العاطفة الملتهبة في حالة تغلب فيها النفس عن أمرها[26] و صار بعض المتصوفة يدعون الوصول إلى درجة الاتحاد بالله.

3. ظهور الصوفية :

وكان أول ظهور طوائف الصوفية حوالي عام 200هجرية 800 ميلادية وذلك في مصر مهد الرهبة النصرانية ففي عام 200 هجرية ظهرت بالإسكندرية طائفة يسمون الصوفية يأمرون بالمعروف فيما زعموا و يعارضون السلطان في أمره و ترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبد الرحمان الصوفي [27] وهكذا شيئا فشيئا بدأت الصوفية تخرج عن منهجها الأول في الزهد و العبادة حيث روي لعلي بن الموفق المتوفى عام 265 هجرية 878 م دعاء لايتماشى في صميمه مع ظاهر الاسلام وهو قوله :" اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا

[26] أدم ، متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، م2 ، ترجمة الهادي أبو ريدة ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ،ص20
[27] نفس المرجع ، ص22 23 .

من نارك فعذبني بها وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا مني في جنتك فحرمنيو إن كنت تعلم أني إنما أعبدك حبا مني لك و شوقا لوجهك الكريم ، فأبحنه وفعل بي ماشئت "[28] فيحكي إبن حزم :" أن من الصوفية من يقول إن من عرف الله سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى ، وبلغنا أن بسينابور اليوم في عصرنا رجلا يكنى أبا سعيد أبا الخير من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال و مرة يصلي في اليوم ألف ركعة و مرة لا يصلي فريضة و لا نافلة ..."[29]

4. أنواع التصوف :

1.4التصوف السني :

تميز التصوف السني خلال القرنين الأولين للهجرة عند المسلمين بمظاهر الالتزام بأوامر الله و نواهيه و الاقتداء بحياة النبي صلى الله عليه و سلم وما تنطوي عليه من عبارات الزهد في الدنيا و الاعراض عن مباهجها و الاقبال عن التوبة وتجنب المعاصي ومنه تلخصت وجهته الصوفية في مظهرين مظهر بارز وهي العبادات وترك مظاهر الدنيا من مال و جاه وعيشة رغدة وباطنها مراقبة أفعال القلب و هي الايمان وما يتصرف في القلب الذي هو مصدر الافعال ومبدؤها[30] ، وقد أطلق على هذه المرحلة من التصوف اسم مجاهدة التقوى، ثم تطور التصوف السني خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين فأصبح منتحلوه يهدفون إلى الوصول

[28] نفس المرجع ،ص26 .
[29] نفس المرجع ، ص35 .
[30] حنان بلعشاش، دور التيار الصوفي في الثورات الشعبية ، مرجع سابق ،ص20

الى نفس لا يصدر عنها سوى أفعال الخير مؤدبة بآداب القرآن و السنة النبوية فعمدوا الى تقويم النفس و تهذيبها عن طريق الارادة و الرياضة[31].فأما الرياضة فهي تدريب النفس وفق مظهرين مظهر بارز يتمثل في رفض زينة الدنيا من مال و جاه و شهوات البطن و الفرج

ومقاومتها عن طريق الصيام المتواصل و قيام الليل و التهجد ، حتى يكون الفعل و الترك عند صاحبه أمرا طبيعيا يأكل أو لا يأكل ينام أو لا ينام أمر طبيعي لديه ، و الهدف من تقويم النفس بهذه الطريقة هو الوصول الى مراتب الأنبياء و الصديقين و الشهداء

والصالحين وقد أطلق على هذا النوع من المجاهدة النفسية مجاهدة الاستقامة[32]، وكان سيد الصوفية السنيين أبو القاسم الجنيد المتوفى سنة 297 هجري يقول:"الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه و سلم"[33] ثم أصبح خلال القرن الخامس الهجري ينزع إلى عشق عن عالم الغيب كمعرفة صفات الله أو رؤية العرش

والكرسي والوحي والملائكة[34] ويتحقق هذا عن طريق المجاهدات السابقة الذكر، مجاهدة التقوى، مجاهدة الاستقامة[35]

[31] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[32] إبن خلدون ، مرجع سابق ، ص40
[33] مبارك بن محمد الميلى، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي،ج2 دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ص342.
[34] أحميدة عميراوي، رسالة الطريق القادرية في الجزائر، دار الهدى للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 9 .
[35] نفس المرجع. ص10.

2.4 التصوف الفلسفي :

تدرس الطريقة الصوفية من زوايا مختلفة، اجتماعية و فلسفية و روحية، ودراستها من الناحية الفلسفية و الروحية يتطلب تحديد المفاهيم كثيرة مثل: الوجود، اللهوت، الفناء.....و التصوف الفلسفي نشأ عن اهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماسا لمعرفة الله و اكتساب علومه، و الوقوف على حكمته و أسراره و الاطلاع على حقائق الموجودات، فظهرت منذ القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي، عدة نظريات صوفية فلسفية تباينت في كيفية الوصول الى هذه الاهداف.

فكان ذو النون المصري 245هجري أول من أدخل مدرك العرفانية (الغنوصية) في التصوف الاسلامي، أي معرفة الله بكل مافي النفس من حدس و عاطفة و خيال، ثم بعده جاء أبو زيد البسطامي (270هجري) بنظرية الفناء أي فناء الانسان عن نفسه و فقدانه الشعور بذاته مع الله.[36]

وعن طريق نظرية الفناء توصل بعض الصوفية إلى القول بنظرية الحلول و الاتحاد التي تزعمها الحسين بن المنصور الحلاج (309هجري) أي حلول الذات الالهية في المخلوقات، واتحاد طبيعة الانسان في الطبيعة الالهية حتى تصير حقيقة واحدة ، الا أن نظرية الحلول و الاتحاد رفظها كثير من المتصوفة و الفلاسفة، فجاء أبو نصر محمد الفرابي (ت 339

[36] حنان بلعشاش، مرجع سابق. ص21.

هجري) بنظرية الاتصال أي تجاوز النفوس عالم الحس إلى عالم الشهادة الحقيقية عن طريق التأمل العقلي أولا ثم المجاهدة النفسية ثانية[37]

5. بعض رجال الصوفية :

ممن نطق في علومهم وعبر عن مواجيدهم و نشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولا و فعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم علي بن الحسين زين العابدين وبنه محمد بن علي الباقر و بنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم بعد علي و الحسن و الحسين رضي الله عنهم و أويس القرني و هرم بن حيان والحسن بن أبي الحسن البصري و أبو حازم سلمة بن دينار المديني و مالك بن دينار و عبد الواحد بن زيد و عتبة الغلام وإبراهيم بن أدهم و الفضيل بن عياض وبنه علي بن الفضيل وداود الطائي وسفيان بن سعيد الثوري و سفيان بن عيينة و أبو سليمان الداراني و بنه سليمان وأحمد بن الحواري الدمشقي و أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري و أخوه ذو الكفل و السري ابن المغلس السقطي و بشر بن الحارث الحافي و معروف الكرخي و أبو حذيفة المرعشي و محمد بن المبارك الصوري ويوسف بن أسباط رحمهم الله.[38]

ومن أهل خراسان و الجبل أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي وأبو حفص الحداد النيسابوري و أحمد بن خضرويه البلخي و سهل بن عبد الله التستري و يوسف بن الحسين

[37] إبن خلدون، مرجع سابق ص50

[38] محمد الكلاباذي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف،مرجع سابق ، ص26.

الرازي و أبو بكر بن الطاهر الأبهري و علي بن سهل بن الأزهر الأصفهاني وعلي بن محمد البارزي و أبو بكر الكناني الدينوري وأبو محمد ابن الحسن ابن محمد الراحاني

والعباس بن الفضل ابن قتيبة ابن منصور الدينوري و كهمس بن علي الهمداني و الحسن بن علي بن يزدانيار رضي الله عنهم أجمعين.[39]

6. بعض المؤثرات الخارجية في التصوف:

هناك عدة مؤثرات خارجية أثرت في التصوف و منهجه و مسلكه و تصوره، و منها:

1.6التأثير النصراني اليهودي:

وقد ذكر الكثير من الباحثين قصصا تدل على تأثر المتصوفة برهبان أهل الكتاب الضالين، وهذا ليس ببعيد على جهلة العباد ، ومن ذلك لبس بعضهم لباسا يشبه ألبسة النصارى و اتخاذ الخوانق و الربط و الزوايا ، و العزلة التي أحدثوها ، وكذلك تشبههم بالرهبان في التبتل وترك النكاح وتقاربهم في عقيدة الحلول و الاتحاد ، ووجود بعض المصطلحات النصرانية في كلام بعض الصوفية مثل كلمة اللاهوتوالرهبوت و الناسوت و غيرها[40]

[39] محمدالكلاباذيأبوبكر،التعرفلمذهبأهلالتصوف ، مرجع سابق ، ص28.
[40] إحسان إلهي ظهير ، التصوف المنشأ و المصدر ، الطبعة الاولى، إدارة ترجمان السنة ، باكستان، ، 1986، ص49.

2.6الاثر الهندي و الفارسي و الاثر البوذي الوثني:

وثبوت تأثير هذا المصدر أكده كثير من الباحثين نظرا للتشابه في ما يتعلق بين الطريقتين في موضوع الأرواح و القول بالتناسخ ، وفي طريق الخلاص من الدنيا ، و في إلغاء التمايز ومحو الاشارة، ومن أسباب ذلك انتشار هذه الديانات الباطلة في خرسان و العراق و نحوها.

3.6الأثر اليوناني الفلسفي:

تتشابه عقائد الصوفية ونظرياتهم إلى حد كبير مع المدارس الفلسفية المشهورة و من أبرز تلك العقائد وحدة الوجود واتحاد الخالق بالمخلوق ، يقول أبو الوفاء التفتازاني:"ونحن لا ننك الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي ... وليس من شك أن فلسفة أفلوطين الإسكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس ، وعن العالم المحسوس ، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي " ، لكنه أشار إلى أن ذلك التأثير لا يعني أن مصدر التصوف كله هو الفلسفة اليونانية ، وأن إقبال الصوفية على هذه الفلسفة كان في وقت متأخر من القرن السادس الهجري و ما بعده [41] ويقول أحد صوفية الهند المعاصرين يوسف بن سليم حشتي :" إن التصوف لم يقتبس ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية و المصادر الطاهرة و على رأسها الأفلاطونية المحدثة التي نشرها أفلوطين

[41] أبو وفاء التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الاسلامي ،الطبعة الثالثة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1988 ، ص39.

الإسكندري و فلسفته في الالهيات تدور على وحدة الوجود وهذا عين ماكان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي و غيره ، كما أومن به أنا أيضا"[42]

7. التصوف في الجزائر:

1.7 عصر الفاطميين:

لقد كان أول ماعرفت الجزائر التصوف في عصر بني عبيد الذين ادعوا النسب الفاطمي، حيث كانوا يفسرون الإسلام و نصوصه و تعاليمه تفسيرا باطنيا يلتقي مع التصوف المأخوذ من الفكر اليوناني لفظا و معنى، حيث أن كلمة الصوفية مشتقة من كلمة (سوفيا) اليونانية التي تعني الحكمة، كما قال البيروني و يؤكده مضمون التصوف المختلط بالفلسفة و المتفق معها في غايتها فقال الجرجاني:" الفلسفة التشبه بالاله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية " ، وقال الكاشاني:" التصوف هو التخلق بالأخلاق الالهية "، ولذلك قال ابن عربي:" ومن شروط المنعوت بالتصوف أن يكون حكيما ذا حكمة وأن لم يكن فلا حظ له من هذا اللقب"، وقد بين ابن خلدون أن في مقدمته أن الصوفية كانوا مخالطين للإسماعيلية الباطنية فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم و تشابهت عقائدهم". وفي تأكيد هذه الحقيقة التاريخية يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي في كتابه الإسلام الصحيح

[42] إحسان إلهي ظهير ، مرجع سابق ص127 .

(156 طبعة دار الحبر) إن الدولة الفاطمية الباطنية قد سممت الأمة الاسلامية بمعتقداتها و مخترعاتها و كفرياتها وادعاء علم الغيب و العلم الباطني.

ويؤكدها أيضا الشيخ مبارك الميلي في تاريخ الجزائر (720) لكن مع بيان موقف العلماء المسلمين من فكرهم وعقائدهم فقال رحمه الله:" وقد عرفت الجزائر التصوف زمن بني عبيد لكن العلماء أنكروا عليهم و كفروهم.

2.7 عصر المرابطين:

واستمر رفض العلماء المالكية و غيرهم للعقائد الصوفية بعد زوال دولة بني عبيد عن المغرب العربي وظهر هذا الرفض جليا بما اشتهر من فتاوى المالكية بإحراق كتب الغزالي لما دخلت المغرب وعلى رأسها إحياء علوم الدين، وأمر ابن تاشفين بذلك، والعلماء إنما أنكروا هذه الكتب لا لما تضمنته من مواعض و رقائق ولكن لما تضنته من تعاليم التصوف الفلسفي المضاد لشريعة الاسلام، ولذلك قيل إن الغزالي أمرضه الشفاء لابن سينا على أن رفض العلماء لإحياء الغزالي لم يكن قاصرا على المالكية المغاربة، بل شمل علماء المشرق من شافعية و غيرهم فقد أنكروا على الغزالي ما في كتبه من فلسفة و تصوف غال، وقد أشار إلى ذلك الغزالي نفسه في مقدمة كتابه منهاج العابدين (ص56)

3.7 عصر الموحدين:

و بقي الأمر على ذلك حتى جاءت دولة الموحدين التي نشرت كتب الغزالي كما قال الشيخ مبارك الميلي رحمه الله ، ونشر الموحدين لكتب الغزالي أمر مشهور في التاريخ على أنه لم يكن مقتصرا على كتب السلوك بل شمل نشر كتب أصول الفقه و أصول الدين ، لأن ابن تومرت كان قد تتلمذ على يد الغزالي و تأثر به . ويؤكد الشيخ الميلي رحمه الله على دور الدولة الموحدية في نشر التصوف فيقول:" فلم يكن يومئذ شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة الموحدية ونشرت المعارف ونصرت الفلسفة ، فظهر من الصوفية رجال ذو علم طار صيتهم في الآفاق ".

ويقول الشيخ أبو يعلى الزواوي في الاسلام الصحيح (ص161) :" فإذا تأملت أيها الواقف في استمرار الدولتين المخزيتين العبيدية و الموحدية قرونا كثيرة كما تقدم زال عنك التعجب وظهر لك سبب الضلال وسبب شغف الناس بلأولياء الأموات و الأقطاب و الأغواث و الأبدال و المجاذيب وسائر المتصرفين في الغيب و الباطن، وأن جميع مايقع في الكون بتصرفهم و قضائهم".

8. التصوف في القرن 15م :

وهنا التصوف أخد منحى أخر بحيث انتقل إلى التصوف الجماعي وبعبارة أخرى انتقل التصوف من إطاره الفكري إلى الإطار الشعبي الطرقي ، وقد تم ذلك في القرن التاسع

الهجري ، وقد استطاع هؤلاء المتصوفة تكوين أساتذة في علوم الصف ، قاموا فيما بعد نشرها في المدن أولا وشيئا فشيئا (ابتداء من القرن السابع هجري) نقل تلامذتهم إلى التصوف إلى الأرياف وأنشأوا زوايا للتعاليم الصوفية ، ويفتح باب التصوف لأهل الريف والعامة ساعدوا مرارا كثيرة على نشر الإسلام وإعادة نشره في الأرياف ، وبهذا مهدوا السبيل للحركة الصوفية الكبيرة الشعبية التي ستنتشر ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي مع الطرق الدينية من الغرب إلى الشرق وتبعا لهذا انتشر التصوف بين الفئات الواسعة في المجتمع ولا سيما في المجتمع الريفي وقد لجأ سكان الجزائر القدماء إلى تقديم القرابين لإبعاد الأرواح الشريرة التي كانت حسب اعتقادهم تسكن الجبال والينابيع وغيرها وإلى عبادات الصخور والأشجار والحيوانات، وكان البربري يحاول إرغام قوى الشر. على تحقيق أمانيه بطقوس مناسبة وعبادة مواتية ، وذلك لاستحلاب أفضل الأرواح الخيرة .(43)

لقد برزت هذه المعتقدات والطقوس الوثنية من جديد من خلال عبادة الأولياء واتخاذهم كوسطاء يلتمس منهم حل المشاكل ، وفي هذا الصدد يقول BASTIDباستيد : "يلتمس الناس مساعدة هؤلاء (الأولياء) وأنهم لا يقسمون غالبا إلا بهم ، ولسوف يؤدي هذا الإيمان بمقدراتهم بسلطتهم إلى استخدامهم كوسطاء حينما يتوجه الناس نحو الله ، كما لو أن احتمالات استجابة الرغبة الملتمسة من الله باسم الأولياء هي أكبر منها باسم الشخص الذي يلتمسها .(44)

[43] لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي ، دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية ،تونس ، سراس للنشر ، ص 20.
[44] نور الدين طوالبي ، في إشكالية المقدس ، ترجمة وجيه البعيني ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1988 ، ص143 .

9. أهم الطرق الصوفية في الجزائر :

1.9مفهوم الطريقة :

* **لغة** : الطريق في اللغة هو السبيل الذي يطرق بالأرجل ،وعنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان في فعل محمود كان أو مدموما والطريقة هي السبيل وهي السيرة وطريقة الرجل مذهبه، وجمع الطريق على حين أن جمع طريقة طرائق .

* **اصطلاحا** : اما في الاصطلاح الطريقة عند الصوفية هي عبارة عن مذهب او ملة دنية التي يسير عليها المؤمنون وفق منهاج شرعي ، وهي عبارة عن "مراسم الله تعالة وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ....." وهي السير ة المختصة بالصوفية السالكين الى طريق الله ،فهي سفر الى الله تعالى والسالك الى الله تعالى ، ان يسلك طريق القوم وان يجتازهم مرحلة بعد مرحلة .[45]

– وقد فرق الصوفية بين الطريق والطريقة فالطريق هو السبيل الذي يسلكه المريد وصولا الى المراد ، وهو ما كان معروفا لدى المتصوفة ابان التصوف في مراحله الاولى أو ما يعرف بالتصوف الفردي ،أما الطريقة كاصطلاح ظهر لاحقا إبان التصوف الجماعي المنظم ، يطرق على جماعات المعاشرة الإخوانية التي تعرف باسم الطرق الصوفية وتدعى الواجدة منها باسم الطريقة .[46]

[45]- حنان العشعاش ، دور التيار الصوفي في التوراة الشعبية خلال القرن التاسع عشر ميلاد،رسالة ماستر في التاريخ ،جامعة محمد خيضر بسكرة سنة 2012-2013، ص 12.
[46]- نفس المرجع ص 13.

إذن الطريقة هي مجموعة من الشعارات والممارسات والاذكار تختلف فيها كل طريقة عن أخرى في العدد والأزمنة ولكل طريقة صوفية ما يميزها عن غيرها من الممارسات الصوفية فالقادرية تتميز بالإحسان والصدقة والرحمانية بالعزة والخلوة والعيساوية بالتصوف الخشن بما يوحي باهمية الاحسان البدني عندها ، والدرقاوية بتفضيل الفقر والابتعاد عن طلب السلطة والطيبية و التيجانية تتميز بالتسامح والاعتدال والسنوسية بإعطاء الأولوية للسلطة الدينية.....الخ.[47]

2.9 الطرق الصوفية في الجزائر :

تنقسم الطرق الصوفية بالجزائر الى نوعين أثنين أساسين وبارزين :

النوع الأول :الخلواتي ويدعي شيوخها الى المعرفة بأسرار دنية غيبية خاصة، و القدرة على تلقينها لاتباعهم فيفرضون عليهم اذكار خاصة يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة معينة ، حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم اذكار خاصة تدعى (الورد) .

النوع الثاني : غير خلواتي ولا يدعي شيوخها معرفة اسرار دنية معينة ، ولكن يتخذون انفسهم واتباعهم وردا معينا من الاذكار والصلوات ، يتلونها وراء الصلوات ويتصدون لتحفيظ القران الكريم للأطفال الصغار وتعليم بعض علوم الدين واللغة ولقد اشتهر من هده الطرق

[47]- نفس المرجع نفس الصفحة .

بالجزائر على الحصوص حسب عبد الرحمان بن محمد الجيلالي تسعة طرق وهي : القادرية و الشادلية والخلوقية والرحمانية والتجانية والعيساوية والطيبية والسنوسية والعمارية .

1.2.9 الطريقة القادرية :

هي طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الاسلامي نشات بالعراق في القرن الثاني عشر وصلت الى افريقية في اواخر القرن الخامس عشر ، وتنتسب القادرية الى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني. اما عن دخول هده الطريقة الى الجزائر فيعود الى الشيخ سيدي ابي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفى 594هـ ، فهو الذي ادخلها وتتلمذ على شيخها واخد عنه التصوف ، كما كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر جيلاني من المشرق الى المغرب الاقصى ، تم انتقلى الى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية ببلدة منعة ، وحسب احصائيات لويس رين لعام 1884، فان عدد اتباع الطريقة القادرية وصل الى 21056، وعدد النساء الاتباع 2695.

انتشرت الطريقة القادرية في جهات عديدة في العالم الاسلامي إنتشارا واسعا وكان لها نشاط كبير في نشر الاسلام . ففي إفريقيا الغربية استطاع أتباعها ومريدوها أن ينشئوا الزوايا ويفتحوا الكتاتيب القرآنية في القرى والمداشر حيث التجمعات السكانية ، وتمكنوا من تعليم الأطفال قراءة العربية وكتابتها وتلقينهم الدين الاسلامي وإرسال النجباء منهم بعد ذلك إلى معاهد طرابلس و القيروان وجامع الزيتونة والقرويين و الأزهر الشريف على نفقة الزاوية

القادرية قصد إتمام دراستهم والعودة إلى أوطانهم للعمل في سلك نظام الفرق الصوفية التي كانت تقاوم حملات التبشير المسيحي في تلك الديار[48]

2.2.9 الطريقة الشاذلية :

فهي تنتسب الى ابي الحسن علي الشاذلي الذي ولد في المغرب الاقصى (593هـ – 1196 م) وتتلمذ على الشيخ عبد السلام بن مشيش واخد عنه تعاليم التصوف ، بحيث يعود تاريخ تأسيس هذه الطريقة الى النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي ، وتعتبر هذه الطريقة مع سابقاتها القادرية من اقدم الطرق الصوفية استقرار بالمغرب وانطلقت الطريقة الشاذلية من مركزها المذكور لتنتشر انتشارا واسعا في الجزائر ، والطريق الشاذلي هذا فروع وشعب كثيرة تنتسب عادة الى مقدميهاورؤساءها ودعاتها المبشرين بها في مختلف الاقطار الاسلامية مثل الطريقة الزروقية نسبة الى الشيخ أبي العباس أحمد الزروقيالبرنسي المتوفى حوالي سنة1022هـ– 1613م والزيانية وهي الاخرى ايضا من فروع الشاذلية منسوبة الى الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن ابي زيان القنادسي المتوفى سنة 1145هـ–1732م.

3.2.9 الطريقة الخلوتية :

فهي تنتسب الى الشيخ عمر الخوتي المتوفى بقيصرية الشام سنة 800هـ –1397م والى الشيخ كريم الدين الخلواتي والشيخ قطب الدين احمد بن محمد البهري .

[48] صلاح مؤيد عقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق ، لبنان، بيروت، 2002 ، ص144 ، 145 .

4.2.9 الطريقة الرحمانية :

جاء بها الى الجزائر هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن يوسف الجرجري الزواوي الأزهري، ونشير الى أن إبن عبد الرحمان لم يحصر نشاطه في نشر دعونه الدينية الصوفية على منطقة بلاد القبائل والعاصمة فحسب وانما مد نشاطه ايضا الى اقليم الشرق الجزائري، حيث قام بتعين خليفه له من ابناء قسنطينة وهو الشيخ مصطفى بن عبد الرحمان بن الباش تارزي الكرغلي ، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة الرحمانية في اقليم الشرقي حيث نصت عدة مقاديم اشهرهم الشيخ محمد بن عزوز في واحة البرج قرب طولقة ،ولم تقتصر الرحمانية على تعليم القران والعلوم الشرعية والتربية الروحية بل كانت الى جانب تعاليمها وتربيتها طريقة الجهاد – حالها رجال باقي الطرق الصوفية المذكورة ،فاتباع الطريقة لم يتوقف عن محاربة المستعمر طيلة وجوده في الجزائر الى أن خرج منها مدموما مدحورا .

5.2.9 الطريقة العيساوية :

مؤسسها هو الشيخ ابوعبد الله محمد بن عيس ينحدر من احد القبائل المعروفة في الجزيرة العربية ،وقد عكس الشيخ المذكور في القرن التاسع الهجري اي حوالي 872هـ بالمغرب الأقصى الشقيق ، والعيساوية هي فرع من الشاذلية ،وفي عام 978هـ –1570م جاء من المغرب الاقصى شخص يدعى علال الى (بلدة وزرة) قرب مدينة المدية وكون اسرة فيها تنتسب الى العيساوية .

6.2.9 الطريقة الطيبية :

قام بتأسيس هذه الطريقة الصوفي المغربي المعروف مولاي عبد الله بن ابراهيم الوزاري نسبة الى الشريف المتوفى سنة 1089هـ الموافق ل1678م-غير ان الطريقة نسبت الى احد ابنائه مولاي الطيب وكانت الطريقة الطيبية مشكلة في الغرب الجزائري من طرق مقدمها الحاج التهامي بن عمر، اما في الشرق الجزائري من طرف الشيخ محمد بن بكر وهو مقدم الطرية في قسنطينة 1314م وفي الغرب مازالت تنشط وتظم 22.000 وشيخها الشريف الوزان بالمغرب الاقصى .وحسب احصاءات لويس رين عام 1884 فان عدد اتباعها 16045.

7.2.9 الطريقة التجانية:

سميت التجانية نسبة الى مؤسسها الشيخ ابي العباس احمد بن محمد بن سالم المختار التيجاني ،المولود 1150هـ- 1737م بمدينة عين ماضي قرب مدينة اغواط ،من بلاد الجزائر والمتوفى سنة 1203هـ-1815م ،ويرى التجانيون ان طريقتهم افضل الطرق على الاطلاق لذا تغلب عليه صفة الكبرياء ويعتبرون أنفسهم أنهم أفضل الخلق كافة ،ويتضح مما سبق ان الطريقة التجانية ذات طابع ارستقراطي حيث اتبعت العلية من الناس كبعض السلاطين في المغرب الاقصى وبايات تونس و كذلك طبقة التجار.

8.2.9 الطريقة السنوسية :

تنتسب الى مؤسسها الإمام الصالح محمد بن علي السنونسي الخطابي الحسن الادريسي ، واتباع الطريقة السنوسية وموردوها يؤمنون بان الامام السنوسي كان على اتصال بالرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، وقد ذكر الامام بان الرسول أمره بتاسيس الزوايا والدعوة الى الله، ومن احصائيات لويس رين لاتباع الطريقة السنوسية ، حيث توفى الشيخ السنوسي بزاوية جغبوب بأرض برقة سنة 1276هـ- 1859م وتمتاز طريقته ذات طابع ايجابي سياسي وحزبي ايضا .

الطريقة العمارية : فهي منسوبة الى شيخها الى عمار بوسنة المولود بالزمالة بن مراد حوالي سنة 1123هـ -1712م والمتوفي في بوحمام بعشيرة بن قائد مديرية الشمالية .

9.2.9 الطريقة الزيانية:

شيخ هذه الطريقة ومؤسسها هو الرجل الصالح الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي الحسني رحمه الله، ولد الشيخ بوزيان في قصر من قصور تاغيت سنة 1650 م بعد أن إنتقلت عائلته من القنادسة إلى إلى بني كومي مع قبائل ذوي منيع وبعد حفظه للقرآن الكريم وحصوله على مبادئ في اللغة و الدين، شد الرحال في طلب العلم قاصدا زاوية الشيخ مبارك بن عزي السجلماسي، فبقي الطالب بوزيان في هذه الزاوية مدة من الزمن جادا مجتهدا من أجل العلم والمعرفة ولما توفي الشيخ مبارك بن عزي سنة إثر وباء

الطاعون غادر بوزيان سجلماسة متوجها إلى فاس التي بقي بها ثماني سنوات في مدرسة مصباح توفي رحمه الله سنة 1697 م من شيوخه أبا العباس أحمد الشهير باليمني المصري الصعيدي. بعد انتشارها الواسع داخل الوطن وخارجه وبعد تزايد مريديها وأتباعها و المتعاطفين معها، نظمت الطريقة الزيانية صفوفها في إطار لا يختلف عما وجدت عليه بقية الطرق الصوفية وزواياها . فالشيخ هو المسؤول الأول على رأس الطريقة يتخذ من الزاوية الأم مقر سكناه وهذا ما فعله الشيخ إبن أبي زيان وأبناؤه وحفذته من بعده وعندما يتسع نفوذ الطريقة الزيانية ويزداد عدد أتباعها كثرة في المناطق البعيدة يقوم الشيخ بتعيين نواب عنه على رأس الزوايا التي تتفرع عن الزاوية الأم بالقنادسة المقر الرئيسي للطريقة الزيانية يساعدونه في ههامه الكثيرة ، ويشترط في الخليفة أن يكون عالما صالحا وفي هذا يقول الشيخ ابن أبي زيان:" وقد منعنا المقدمين من إعطاء إسم الله الأعظم إلا للخلفاء العلماء العاملين بالسنة المحمدية فهم خلفائي في ستر الله العظيم "[49] . ومن المناصب المهمة في التنظيم الهيكلي للطريقة الزيانية وزاويتها القيم على خزائن الزاوية ، وقد كان الشيخ رحمه الله قد عين في هذه الوظيفة لأول أمره ابن أخيه سيدي الحاج عبد الرحمان وكان رجلا يتصف بالورع و الصلاح ومن نصيحته له قوله : " أحرص على مال الله واصرفه في عبيده وأحسن تصريفه فإن الله سائلني وأنا سائلك وكلنا مسؤولون أمام الله اللهم أي خرجت من تبعاته وخلفتك فيها "[50] .

[49] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق ، ص215 ، 216 .
[50] صلاحمؤيدعقبينفس المرجع ، ص217 ، 218 .

10. الزوايا:

إن للزوايا قيمة حضارية وتاريخية مهمة في المجتمعات العربية و الإسلامية لما ساهمت به في الحفاظ على الهوية الوطنية و الإسلامية و مقاومة الاستعمار بكل مفاهيمه من العسكري الاستيطاني إلى الثقافي الذي مس ثقافات المجتمعات و تقاليدها. فبعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر عمل على محو القيم الإسلامية وطمس معالم الشخصية العربية بشتى الوسائل ومنع تدريس اللغة العربية من المساجد إلى الكنائس.

1.10 تعريف الزاوية:

– **لغة:** الزاوية في القاموس ترد تحت مادة انزوى ، أي انعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا، وتفرد بنفسه ، هذه الحال أو الصفة أطلقت على الانسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد ، وأداء وظائف أخرى، فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الانعزال و الانزواء.[51]

وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة و المرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء، والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي من الوظائف الاسلامية التي من أجلها وجدت الزاوية.[52]

[51] بن لباد الغالي ، الزوايا في الغرب الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة أبي بكر بلقايد، 2008 . 2009 ، ص29

[52] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، دار البراق، لبنان، بيروت، 2002 ، ص301 .

- **اصطلاحا:** هي محطة للعابر و المقيم، فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، والثاني لطلب العلم و الذكر.[53]

ويراد بها مأوى المتصوفين و الفقراء والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر كما جاء في المعجم الوسيط ، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمان بن الأشعث.[54] وتختلف استعمالات لفظ – زاوية – من المشرق إلى المغرب، ففي المغرب ظل استعمال هذا الاسم مرتبطا " بالرباط " يقول محمد حجي: " لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني و علمي إلا بعد الرباط و الرابطة لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام و لازم المكان . ويطلق في اصطلاح الفقهاء و الصوفية على شيئين : أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو ، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين "[55].

2.10 تاريخ ظهور الزوايا:

وقد ظهرت الزوايا في مغربنا العربي الإسلامي ابتداء من القرن الرابع للهجري كما جاء في بعض الروايات ، ويذكر العلامة الشيخ المهدي البوعبداللي رحمه الله في مقال كتبه في الموضوع أن الملك الموحدي يعقوب المنصور الذي عرف بعلمه ودينه وسياسته بنى زاوية بدار الضيوف كتلك التي أسسها الملك المريني أبو عنان خارج مدينة "سلا" وقد تحدث عنها

[53] محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2003 ، ص31 .
[54] صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص302 .
[55] محمد حجي، الزاوية الولائية ودورها الديني و العلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1988 ، ص81 .

الرحالة إبن بطوطة في رحلته وتلك التي دفن فيها الملك المذكور والده أبا الحسن بالرباط والتي عرفت بالزاوية شالة وقد زارها لسان الدين بن الخطيب ، وفي عنوان الغبريني نجد لفظ الزاوية قد ذكر في ترجمته العلامة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي المتوفي سنة 661 هـ ما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ في بجاية ، أما بالنسبة للمشرق فقد ذكر المؤرخون أن بعض خلفاء المسلمين الأوائل قد بنوا للمتصوفة بيوتا ملاصقة للمساجد خصصت للذكر وللعبادة ، والاعتكاف، والانقطاع للتأمل والتفكر وللرياضة الروحية وأطلقوا على تلك البيوت اسم الخانقات وهي التي تعرف عندنا في الغرب الزاوية[56] .

في العهد المريني لقيت الزوايا الدعم والمساعدة من الملوك الذين أمدوها بكل ما تحتاج إليه، بل عملوا على تنظيمها وتطويرها ومن المعلوم أن ملوك الدولة المرينية عرفوا بحبهم للعلم والعمل على نشره وتشجيعهم للعلماء وتقريبهم منهم وحضورهم الدائم في مجالسهم[57]

وقد تحدث العلامة الجزائري المعروف ابن مرزوق التلمساني الذي عاصر الدولة المرينية تحدث في كتابه الذي ألفه في سيرة السلطان أبي الحسن والذي سماه : " المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن" في الفصل الثاني والأربعين عن الزوايا العلمية التي بناها السلطان أبوالحسن[58].

[56] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الطبعة الرابعة ، ج 4 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1980 ، ص56 .
[57] صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص304 .
[58] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، مرجع سابق ، 85 .

وفي الجزائر تزايد عدد الزوايا على مر السنين. وانتشرت انتشارا واضحا، فعمت كل جهات البلاد وخاصة غربها، ووسطها. ففي الناحية الغربية يرجع الدكتور سعد الله سبب كثرتها إلى كثرت زوايا المرابطين في المغرب الأقصى، وإلى حجاج ورحالة المغرب الذين كانوا يعبرون الجزائر ويغذون فكرة المرابطية وينشرون مبادئ زواياهم وشيوخهم [59]

ليس للزوايا في القطر الجزائري من مورد لتسييرها سوى تلك الأوقاف والأحباس كالأراضي، وغابات الزيتون بمنطقة القبائل وغابات النخيل بالجنوب، والعقارات وغيرها، أو الهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون من أبناء الشعب لهذه الزوايا . وقد صادر المستعمرون تلك الأوقاف غداة الاحتلال ووزعوها على المستوطنين الجدد لتصبح ملكية خاصة لهم ولأبنائهم[60] .

وقد بلغ عدد الزوايا حسب آخر الاحصائيات حوالي 500 زاوية في القطر الجزائري كله . غير أن أغلبها تعرض للهدم والتخريب أثناء حرب التحرير المضفرة نتيجة مواقف شيوخها المؤيدة والمدعمة للثورة وتحولت هذه الزوايا إلى ملاجئ للمجاهدين ومراكز لاجتماعاتهم،. وقد تعرض شيوخها للسجن والنفي والتشريد، ومنهم من استشهد ولاتزال زواياهم تنتظر إلى يومنا هذا يد الاصلاح والترميم تمتد إليها لتستعيد نشاطها، وتقوم برسالتها في نشر العلم والثقافة الاسلامية الصحيحة، ، فقد أشاد الكثير من العلماء و المؤرخين قديما وحديثا في دور الزوايا في ذلك. فهذا العلامة المشرفي يقول عن زاوية الشيخ محمد بن علي المحاجي

[59] سعد الله ، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الأول ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 ، ص265 .
[60] صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص307 ، 308 .

أبهلول الواقعة نواحي تنس بأنها كانت زاوية ومدرسة ورباطا ، وكانت مركزا لإقراء الضيوف ولمن يجاهدون في سبيل الله ويقول أن حوالي 1300 مجاهد خرجوا لقتال الكفار بثغر تنس وكانوا جياعا فمروا بزاوية المحاجي فأطعمهم جميعا حتى شبعوا . وكان شيخها المذكور من العلماء الذين شاركوا مشاركة فعالة ضد الاسبان. وهذا إبن صعد في كتابه. النجم الثاقب. يذكر أن زاوية الشيخ سيدي ابراهيم التازي رحمه الله بوهران كانت بها خزائن الكتب وآلات الجهاد ، وجاء في رحلة بيررايس العثماني أن زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية كانت ملجأ للمجاهدين و غزاة البحر وأنا شيخها المذكور كان يحمي المدينة من غارات الأشباح[61]

ولما توالت حملات البرتغال والإسبان، وتعددت هجماتها على شواطئ مغربنا، وتعرض مسلموا الأندلس لإضطهاد الصليبيين الذين أذاقوهم من القتل والتشريد ألوانا يعجز أبلغ الأقلام على تصويرها. ووقفت الدولة أمام كل ذلك عاجزة لا تستطيع الدفاع عن البلاد ، وحماية السواحل المهددة بالغزو من طرف البرتغاليين والإسبان، وتبعث فيهم الحماس الوطني، وتدعوهم إلى الجهاد، وكان شيوخها الميامين في مقدمة الجيوش المحاربة يتسابقون بالظفر بإحدى الحسنيين، النصر أو الاستشهاد، وتصدت الى الغزو الاسباني و البرتغالي وعلى الوجود التركي وتارة على الاحتلال الفرنسي بقيادة علمائها وشيوخها ومرديها ،وعندما أعلن السعديون بالمغرب الجهاد ضد الصليبيين، وقفت الزوايا إلى جانبهم تجهاد وتدعوا الجماهير إلى قتال الغزاة الحاقدين إلى أن طردوهم من الثغور المغربية، وأجلسوا السعديين

[61] سعد الله ، مرجع سابق ، ص266 .

على عرش المملكة بالمغرب الشقيق وكان في مقدمة تلك الزوايا، الزاوية الدلائية التي سبق الحديث عنها، كما استطاعت بعض الزوايا بفضل جهادها، وصمودها في وجه الغزاة أن تتحول إلى دول وممالك كما هو الشأن بالنسبة للزاوية السنوسية التي استطاعت أن تؤسس دولة إسلامية قوية الأركان، في القطر الليبي الشقيق.

3.10 أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري:

لمعرفة أنواع الزوايا اتبع الباحثون والكتاب عدة مؤشرات وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزوايا وكذلك المكان أو الموقع الذي تقع فيه وكذلك حسب الأدوار والوظائف التي تقوم بها.

أولا : أنواع الزوايا من حيث الانتساب : حسب الانتساب تنقسم الزوايا إلى:

1.3.10 زوايا المرابطين:

فهي للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات . كما أن زوايا هذا النوع ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين . فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجهم[62].

[62] محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر، الجزائر ، 1998 ، ص30 .

2.3.10 زوايا الطرق الصوفية :

وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي ، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيئ والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموين الزاوية . أما في حالة وفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة .

3.3.10 الزوايا المنسوبة :

وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى هذه الزاوية زائرة وطالبة للبركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة[63].

ثانيا : أنواع الزوايا من حيث الموقع :

هناك من العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن

4.3.10 زوايا الأرياف :

تكون مبنية حول قبر المرابط غير معروف كثيرا . ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط، وهذا المجتمع يطلق عليه زاوية وتكون لهذه الزواية أوقاف كبيرة من أراضي وبساتين تطعم منها الفقراء والضيوف وحق الزاوية هو العشر

[63] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 . 1954 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1985، ص26 .

(العشور) ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن احتمى بها فهو آمن ، ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابطون ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية الأطفال.

5.3.10 زوايا المدن :

فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء الغرباء ، وتتوفر فيها الإضاءة والماء وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذ تخصص لها ويلحق بها مدرس شهير لتدريس العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه . وأحيانا اسم المرابط التابعة له[64].

ثالثا : أنواع الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه :

6.3.10 زوايا العلم :

وهي من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الاسلامية . ومن هنا فالتعليم بهذه الزوايا وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم، فالتربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية والتعليم لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم كما عملت أيضا على إزالة الفوارق

[64] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق ، ص268 .

الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة. وكانت أيضا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية[65].

7.3.10 زوايا السحر:

وتتمثل في بعض الزوايا التي أدت الدور السلبي الذي يبدو جليا في تلك الأعمال التي تجري في معضمها من الرقص وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف واللعب بالنار والبدع التي أحدثتها ومازالت تحدثها في الدين وهذا الجانب هو الجانب المعيب فيها . هذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها فأصبح في ذهن الكثير من عموم الشعب أن لفظ زاوية تعني مزيجا من الرهبانية ومن فلكلور مكن الأجهزة والشخصيات ومن سحر وشعوذة لا طائل من ورائها سوى شد الإنسان إلى الوراء[66]. ومن الأمور السلبية أيضا احترام الخلافات و الخصومات من بعض شيوخ هذه الزوايا وفي الزاوية نفسها حول بعض القضايا الهامشية وفي بعض الأحيان في أغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية وامتداد هذا الخلاف إلى الأتباع والمريدين، بالإضافة إلى استسلام وتواطؤ بعض شيوخ الزوايا

[65] يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص134 ، 135 .
[66] تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2 ، الجزائر ، 1981 ، ص89 .

4.10 أنواع أخرى من الزوايا :

إن تعدد الزوايا بالجزائر سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاث أنواع من الزوايا وهي :

النوع الأول : زوايا المشائخ :

وهذا النوع من الزوايا يعتبرملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي . وصاحب هذه الزاوية عادة يكون صاحب طريقة ، ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق ، وهذا الشيخ له أتباع و مريدون يسمون الإخوان ، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدون و المحسنين الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب، ويقدمونها للشيخ والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته . وهو صاحب الحل والعقد ، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو من بعيد . فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه ، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة ، كما يدفع أجر الشيخ (أي المعلم) وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة[67]. فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه، إما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة وترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل ،

[67] محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن ، مرجع سابق ، ص103 .

وذلك حسب تقاليد الأسرة وعلى سبيل المثال نجد من زوايا المشايخ في الجزائر زاوية على بن عمر بطولقة ، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار.

النوع الثاني: زوايا المرابطين:

فهي ملكية جماعية ، فمواردها محبسة عن طلبات العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئا من الأموال من زاوية جدهم والزكاة والصدقات والتبرعات والنذر والهبات سواء كانت نقود أو حيوانات هي للزاوية وحق لطلبة العلم والفقراء الذين يقصدون الزاوية ، كما أن زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ.

النوع الثالث : زوايا الطلبة :

وهذا النموذج الوحيد من الزوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو، وأسست عام 1635 م ، إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فطلبتها يتمتعون بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسستهم فلا يتدخل أحد فيها . والطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا ، علميا واقتصاديا والزاوية بهذا الشكل تكون بعيدة عن أي نوع من الضغوطات أو التدخلات ، فهي تسير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها . فالشيء الوحيد

الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفونه إنما هو القانون أي قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه باسم اللائحة الداخلية للزاوية[68] .

5.10 دور الزوايا :

أدت الزوايا الدينية بمختلف أنواعها أدوارا كثيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، وكذلك الأدوار السياسية. ومن بين تلك الأدوار ما يلي:اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية الثقافية مما ساعد على حمايته من النسيان والضياع والاندثار[69] ، وهذا من الجانب الديني،كما كانت الزوايا تدرس مختلف علوم ..، ضف إلى هذا العلوم الدينية التي كان بعضها مقصدا لكبار العلماء حيث اشتهرت وتحولت إلى مدارس عليا ، كما تعد بمثابة مخازن ودواوين المخطوطات في مختلف العلوم والفنون وذلك ، كما عملت على نشر الاسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها خاصة في المواطن الصحراوية[70] ، فيما يخص الثقافة أما عن الحياة الاجتماعية فقد كانت الزوايا تهتم بإزالة الخلافات بين الفئات المختلفة ، خاصة في ظل غياب المؤسسات الثقافية آنذاك في الريف[71] حيث كانت الزاوية هي المؤسسة الوحيدة في الريف التي يلجأ إليها الناس في حل خصوماتهم ....و تسيير شؤونهم، فهي مؤسسة دينية، علمية، تثقيفية وإدارية[72] ،أما الحياة السياسية : لقد شاركت الزاوية مشاركة فعالة في مقاومة أنظمة الحكم المستبدة وخاصة في

[68] محمد نسيب ، مرجع سابق ، ص119 .
[69] بوعزيزي يحيى ، تاريخ الجزائر في المنظمات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص14 .
[70] نفس المرجع ، ص115 .
[71] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، مرجع سابق، ص261 .
[72] صادقي سمية ، مراكز المخطوطات ودورها ، مذكرة لنيل شهادة الماسترفي التاريخ ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2012، 2013 ، ص13 .

فترة الاستعمار[73]، ومن أدوار الزاوية في الحياة السياسية للاستعمار الفرنسي، انها قامت بصد هذا العدوان منذ دخوله إلى أرض الجزائر، ولعل أهم الثورات المسلحة والتي شكلت ما يسمى بكارثة المقاومة المسلحة المرتبطة بشيوخ الزوايا ومقدمي الطرق الصوفية، وهو ما يؤكده حمدان خوجة بقوله: إن شيوخ الطرق الصوفية أمروا جميع المواطنين الجزائريين أمام الغزو الفرنسي بالتعبئة العامة وبالوقوف صفا واحدا لمقاومة الغزاة المحتلين، فهذا الشيخ محي الدين مقدم الزاوية القادرية يعلن الجهاد سنة 1932 م ويكون جيشا لمهاجمة قوات فرنسا بالتوجه إلى وهران ، كما أوصى كل القبائل بضرب حصار عليها لمنع المؤونة عن الجيش الفرنسي، ويأتي من بعده ابنه الأمير عبد القادر الذي وسع من دائرة المقاومة المسلحة إلى 17 سنة ، في 1945 م حدثت معركة تاريخية سماها الفرنسيون ثورة الطرق الصوفية ، كان من قادتها هم من القادرية، الرحمانية والطيبية، ومن أتباع هذه الأخيرة الشيخ الشريف بومعزة، كذلك ثورة الشيخ بوعمامة وثورة الناصرين شهرة أتباع الطريقة القادرية ، وثورة المقراني ولالا فاطمة نسومر من أتباع الطريقة الرحمانية وكذلك العديد من المقاومات التي يطول عدها وإحصاؤها[74]، فالزوايا على اختلاف طرقها من الرحمانية إلى التيجانية إلى القادرية كلها كانت تصب في وعاء واحد وهو الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية عكس ما كان يعتبره بعض المؤرخين وعلى رأسهم لويس رين الذي كان يرى أن حركة الاخوان بأنها حرب دينية مبنية على التعصب الديني والعرقي وقد امتدت ثورات الاخوان الرحمانيين إلى

[73] منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية، 1830 –1994 ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني والبحث في الحركة الوطنية، 1نوفمبر 1954 ، المطبعة الرسمية ، الجزائر، 2007 .

[74] بن عودة الجمب، دور الزوايا والطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير الكبرى، أعمال الملتقى الوطني 1- 2 ، حول دور الزوايا إبان المقاومة و الثورة التحريرية، الجزائر، وزارة المجاهدين، 2007 ، ص144 .

كل المناطق تقريبا والقبائل الشمالية من الجزائر العاصمة إلى القل وجيجل وباتنة ، وحصار مراكز الفرنسيين وقلاعهم في بجاية ودلس وتيزي وزو في 1865 م الأمر الذي أصبح يمثل خطرا كبيرا على فرنسا[75] .

[75] مجلة الأصالة : الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 ، عدد خاص ، 1973 ، ص166 .

الفصل الثاني

تـمـهيـد:

تعتبر الوعدة واحدة من الظواهر التي برزت في المجتمعات التقليدية الريفية ، وهي ظاهرة عامة عرفها المجتمع المغاربي، والمجتمع الجزائري بالخصوص، دأب الناس على إحيائها في مواسم ومواعيد محددة لا تتغير، تعتبر جزء من الممارسة الشعبية الدينية، إذ من خلال هذه الظاهرة يتم إعادة إحياء للجد المشترك بين باقي أفراد العرش الواحد لدا تجدهم حرصين ومتعاونين على إحيائها في وقت معلوم من السنة ، لا يتغير هذا الوقت رغم تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل نجد السلطة السياسية تبارك هذه الظاهرة ، وأحيانا تساعدها فيما يخدم هذه الأخيرة .

1.مفهوم الوعدة :

في اللغة : تشتق كلمة وعدة في فقه اللغة العربية من الفعل وعد التي تعني " تعهد بشيئ ما، أخذ على عاتقه شيئ ما "[1] جاء في لسان العرب : " وعده الأمر وبه عدة ووعدا وموعدا"[2] .

في الاصطلاح :

يبدو أنه من المعتاد في الممارسات الإسلامية أن يأخذ المؤمن الصالح على عاتقه جهارا أمام الخالق تنفيذ وعدة[3] .

[1] نورالدين طوالبي ، الدين والطقوس والتغيرات ، ترجمة وجيه البعيني ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1988 ، ص123 .
[2] ابن منظور ، مرجع سابق ، ج4 ، ص477 .
[3] نورالدين طوالبي ، مرجع سابق ، ص123 .

والوعدة في العرف : " طعام يتخذ على ذبائح من بهيمة الانعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم... والغرض منه التقرب من ذلك الصالح لكي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث أو حفظا للغلة "[4] .

فالوعدة بهذا المعنى تشير إلى أن جماعة من الناس نذرت وتعهدت وتعاهدت على القيام بوليمة احتفالية شعبية في مواعيد محددة [5].

ويظهر من خلال تجدد هذه الظاهرة الطقسية ، في فترات منتظمة أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الزراعية وتتم مع نهاية موسم الحصاد وجمع الغلة فهي تقام سنويا مع نهاية موسم الحصاد والدرس وقبل بداية موسم الزرع والبذر[6] .

وتقام الوعدة باسم الولي – وهو ما يفسر عدد الوعدات الكبيرة– اعترافا من الناس بالجميل لما حصل لهم من بركاته ، ورجاء منهم الحصول على تلك البركة مجددا في الموسم المقبل وقد تأخذ الوعدة معنى **النذر**

2. معنى النذر:

والنذر مصدر نذر الشيء ينذره ومعناه إيجاب الشيء على النفس مطلقا وقيل بشرط، وكذا أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث شيء ما، ونذر على نفسه، ونذر اله ونذر الله سبحانه وتعالى كذا، أو النذر ما كان وعدا على شرط. فعلى أن شفى الله مريضي كذا نذرا.

[4] محمد ب ، يوم لروح الجماعة وعفوية الكرم والمحبة ، جريدة الخبر اليومية العدد (2616) ، 27 /07 /99 .
[5] ابن عون بن عتو ، مرجع سابق ، ص38 .
[6] بووشمة معاشو ، سيدي غانم تراث وثقافة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، 2002 ، ص13 .

والمعنى الثاني للنذر يسميه المحدثون نذر المجازاة وتسمية العامة "الوعدة".

والنذر في اصطلاح الفقهاء التزام مسلم مكلف قربة. وقيل ما يوجبه المسلم على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوهما([7]) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"**من نذر يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه**"([8]). وعلى هذا فإن النذر إذا كان معصية من المعاصي أو عملا من أعمال المشركين التي تنافي الإسلام، فإنه يعتبر حراما ولا يحل الوفاء به.

لقد غيرت الممارسة الشعبية من مفهوم النذر بحيث أصبح الناس ينذرون النذر لمن يعتقدون فيه من الأموات والأحياء والمزارات، الأموال الثياب، الحيوانات والأطعمة ويعتقدون أن نذرهم يقربهم من رضى المنذور، فإن حصل غرضهم، ازدادوا تعلقا بمن نذروا له، واشتدت خشيتهم منه([9])، كما يرون بأن للاماكن التي تنجز فيها النذور خصوصيات قلما تتوفر في غيرها بحيث

أن لهذه المواقع خاصية دفع البلاء واستجلاب النعمة والاستشفاء من الأمراض، وقد يتقربون بالذبائح لبعض الأحجار إذا قيل لهم أن عبدا صالحا قد استند إليها، ويقدمون لبعض الأضرحة.

[7] محمد عبد القادر، أبو فارس، "الأيمان والنذور"، باتنة: دار الشهاب، 1991، ص132.
[8] المرجع نفسه، ص137.
[9] مبارك بن محمد الميلي: الشرك ومظاهره"، مرجع سابق، ص250.

الشموع والزيت والنقود ويعقلون الخرق على بعض الأشجار المجاورة له، وتبعا لهذا فإنهم يتفاءلون بض القبور بقولهم إن القبر الفلاني يقبل النذور أي يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم الغائب أو سلامة مال أو غير ذلك من الأغراض، وهم يعتقدون أن الأولياء الصالحين أحياء في قبورهم يتصرفون في هذا العالم ويقضون حاجات قاصديهم. حتى ليجد المرء من يتوسل إلى صاحب القبر من أجل قضاء حاجته أو إنصافه من ظالمه، حتى ليجد المرء من يتوسل إلى صاحب القبر من أجل قضاء حاجته أو إنصافه من ألمه، ولهذا تشد الرحال إلى هذا المكان. وقد يلجؤون إلى تشييد البناءات واتخاذ المزارات ويرون أن روح الصالح هناك تستجيب للدعاء، أما لأنه دفن هنالك أو جلس به، ومن هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والتمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان([10]).

ويشتد الاعتقاد في الولي في أوقات الكوارث الطبيعية كالجفاف وغيره من أجل رفع البلاء وإغاثة الناس. لذلك تقدم القرابين، وهي تلك الذبائح من الأغنام آو الماعز التي تذبح قرب الضريح وتولم الوليمة وتقدم الأطعمة إلى الوافدين إلى الوعدة. وإذا حدث وأن نزل المطر إثرها، نسبوه إلى سر المذبوح له، وقوي اعتقادهم فيه وتعويلهم عليه، وإذا لم يتم ذلك، أصيبوا بنكسة وقالوا أن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه([11]).

[10] مبارك بن محمد الميلي: الشرك ومظاهره"، مرجع سابق ، ص227.
[11] المرجع نفسه، ص240.

3. النشرة:

النشرة في كلام العرب من النشر بمعنى التفريق وهي تعويذ ورقية يعالج بها المريض المجنون، تقول نشرت المريض إذا قرأت عليه كلمات أو كتبتها له ليعلقها تميمة أو ليمحوها يشربها ويدهن بها. ونشرت تنشيرا إذا رقيته كأنك تفرق عنه العلة([12]).

ويشتق أصل الكلمة في العربية كذلك من فعل نشر أي أشاع، أذاع. وهي تكثر ممارستها في قسنطينة. تنحصر وظيفتها في كونها طبية- سحرية. فهي معدة لشفاء الأمراض المتنوعة إضافة إلى العقم، العجز الجنسي، الامتلاك.

والنشرة في نظر العامة طعام يتخذ على ذبيحة من الدجاج غالبا تقربا إلى الجن كي يرفعوا داءهم عن المصاب فمن أصابه مس من الجن ينقل إلى قبة من القباب، وتقوم النسوة بذبح ديك أسود ويبيت المريض بجانب القبر ليشفى من المرض.

4. الزردة:

عبارة بربرية، تستعمل في شرق البلاد وجنوبها للدلالة على نوعية الفعل في التعييد الذي يلي حدثا سعيدا: ولادة، نجاح مهني، شفاء، عودة من الحج.....الخ ويتم أحيانا استبدال عبارة زردة بعبارة الوعدة للدلالة على نفس الشيء. والزردة في العرف العام طعام يتخذ من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم. ولها وقتان، احدهما في فصل الخريف عند الاستعدادات للحرث والآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة. والغرض منها التقرب من ذلك

[12] المرجع نفسه، ص 238.

الصالح كي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث وحفاظا للغلة([13]) وغالبا ما تضاف الزردة إلى صاحب كالمزار فيقول الناس مثلا زردة سيدي عبد القادر كما أنها تتم دائما عند قبره ونادرا ما يقبلون مكانا آخر. وتأخذ الزردة بالنسبة للقبيلة قيمة دينية لأن الناس يتصورونها على أنها إكراما للولي. كما أنها تؤكد إقامة حج طقسي مرة أو مرتين كل عام للولي. وخلاله تقوم العائلات بزيارة الضريح والتبرك به. وتلي العبادة الانتقال الوراثي عبر الأجيال لإحدى العائلات، وتتجدد بصورة منتظمة مظهرة وجود البركة التي يعتقد كل واحد أنه ممسك بها. وفي هذه الحال تقع تكاليف الاحتفالات على عاتق الجميع بالتضامن. وهذه الظاهرة لا تنفصل عن أي سلوك ديني حيث نجد أن هناك نوعا من التوافقية بين الطقوس البدعية والتقليدية في التقاليد والعادات الشعبية وهي لا تنتهك المعتقد الديني حسب مريديها وترى أي شيء طبيعي أكثر من عبادة هذا الولي الذي جعله تدينه وسيطهم مع الله، في التمثلات الشعبية. وغالبا ما يرتكز هذا التجانس في الأرياف على الطلاب لأنهم مسؤولون عن قيادة التدين الشعبي ولأن مفهوم القداسة في نظرهم مرتبط بالتدين والمعرفة الدينية. مما يجعلهم يتغاضون عن الانحرافات الدينية التي تخدم مصالحهم. إن عبادة الأولياء وإقامة الولائم على الأضرحة التي يمنعها الدين الرسمي هي أساسا من اختلاق المرابطين أي تلك الهيئة الدينية المطلقة بالإشراف على الدين في الأرياف.

[13] مبارك بن محمد الميلي: "الشرك ومظاهره"،مرجع سابق ص238.

بعد الدراسة التي قام بها عبد الوهاب الشاربي للولي الصالح سيدي رابح وسيدي اعمر بن زغيد بالكاف([14]) بتونس حول الزردة أو الحفل الديني يحدد مفهومها كممارسة اجتماعية تتوفر فيها كل خصائص الحفل المتلفة، كالمشاركة الجماعية، والغليان الاجتماعي وهي عبارة عن ثنائيات: الديني والدنيوي، الجسدي والروحي، العجيب والعادي، وهي ممارسة شعائرية تتدرج ضمن نام طقوسي متعدد المظاهر وهي ترتبط في المخيال الشعبي بالوعدة والزيارة طقسان محليان يتمان لصالح الأولياء ويشدان الجماعة لرمز مؤسس وتهمان الوسطين الريفي وسكان المدن والواضر وتتجاوز الممارسة الجماعية لهذين الطقسين المعايير الطبقية والتعليمية والسياسية.

5. ممارسة الزردة:

تهدف إلى ممارسة رقابة جماعية من أجل التحكم في الجماعة عن طريق:

الشخصية الروحية – الدموية للمؤسس وخصاله كالتضحية والورع وحب الناس والتقوى ونصرة المظلوم.

المكان المقدس للممارسة الحفل: مكان مقدس ومكان دنيوي.

زمن معين: أواسط الخريف أو بدايته استعدادا للموسم الفلاحي، واحتفالا بانقضاء موسم الحصاد أو في أواخر الربيع يعبر عن استعداد لجني المحصول في الصيف وهو زمن اجتماعي.

[14] عبد العزيز، رأس مال، المعروف المحدد بالمجال، "الخصائص والصيرورة"، المركز الوطني لبحوث ما قبل التاريخ والانتروبولوجيا والتاريخ، الجزائر في 2001/01/04.

الأضحية: الأضحية الجماعية(الثور مثلا) بالنسبة للعائلة أضاحي أخرى (كبش، خروف، جدي).

المرح الجماعي: ممارسة الألعاب الجماعية والفردية كالفروسية والرقص والغناء.

هذه العناصر الخمسة تتضافر لما اسماه دور كايم بإيقاظ حالة روحية لدى المحتفلين وتجديد علاقة الجماعة بالجد المؤسس.

استلهم المعنى والقوة والمبرر من هذا النموذج تؤسسها لشخصية الروحية على حاضر الجماعة القائمة، ومن هنا اعتزازها بالزردة ووجود ممارستها.

وتهدف الممارسة الجماعية للحفل إلى تجديد التلاحم الجماعي وتأكيده وممارسة الرقابة الجماعية على نفسها خوفا من التشتت والاندثار تحت الحياة الاجتماعية السريع والاندثار تحت إيقاع الحياة الاجتماعية السريع والتهديمي([15]).

6. الفرق في ممارسة الزردة بين المدينة والريف حسب نور الدين طوالبي :

يبرز أن هناك اختلاف بين هذه المصطلحات على ثلاثة مستويات من حيث الاحتفالات في المدينة والريف) .

1.6 على مستوى التسمية:

لأن الوعدة والنشرة يتمان في التجمعات المدنية الكبرى.

[15] عبد العزيز، رأس مال، المعروف المحدد بالمجال، "الخصائص والصيرورة"، المركز الوطني لبحوث ما قبل التاريخ والانتروبولوجيا والتاريخ، الجزائر في 2001/01/04.

الوعدة في الجزائر العاصمة، والنشرة في قسنطينة علما أن الزردة من خصوصيات الأرياف. ويمكن إضافة الغرب الجزائري، الذي يطلق على الاحتفالات التي تقام على الأضرحة اسم "الوعدة" كما تختص "الزردة" بالشرق الجزائري مرادفة للوعدة كما أسلفنا.

2.6 على مستوى الممارسة:

إذ تتبع الأوليتان غائية مباشرة (تطهير، شفاء، مراد...الخ) بينما تخضع الأخيرة إلى التماس ديني بشكل واضح دون إهمال بعض المبادئ التطبيق العملي اليومي الذي تقترب بواسطته من الطقس الديني.

7. دوافع الاشتراك في الوعدة:

1.7 الدوافع النفسية

لقد حلت عبادة الأولياء محل عبادة الأجداد والأسلاف، وذلك لأن الله يبقى بعيدا في نظر الإنسان البسيط الذي يجد حاجة ملحة لتقريبه والتقرب إليه، لذا يلجأ إلى الوسيط الذي يمكنه من بلوغ هذا الهدف([16]) وقد ظل هناك إحساس بين البشر بالفجوة الهائلة التي تفصل بينهم وبين إلههم. ونشأت تبعا لذلك حاجة ملحة لملء هذه الفجوة. وهي حاجة نفسية استغلها رجال الدين لإدامة سلطانهم ولمنع العامة من الانصراف عن الدين. وهو تقليد قديم كان يتبيعه الكهان في الأزمنة الغابرة إذا كانوا يوهمون العامة بأنهم الوحيدون الممتلكون لأسرار الآلهة، القادرون على الاستجابة لها وهم الوسطاء بينها وبين الناس. ومن هنا نرى بان هذه الحاجة النفسية أدت إلى ضرورة إيجاد الشفيع أو الوسيط. إذ لا تكتفي الطبقات الشعبية

[16] PIERRE BOURDIEU .Sociologie de L'algérie, 3eme édition, « que sais je » , 1970, P.102

بالتعاليم المجردة بل تحتاج إلى وسيط يتحسس مآسيها ويساعدها على حل مشاكلها وينصرها ضد ظالميها ويتكلم لغتها لهذا فهي تتحول "عن دعاء الرب إلى دعاء نبيه إلى حفيد نبيه إلى سليل بعيد من أهل البيت إلى ولي صالح([17]) تطلب شفاعته ومساعدته وتلجأ إليه وقت الضائقة.

وقد توصل "أرنست غلينر ERNEST GELLINER " في دراسته حول الصراع القائم في الإسلام بين الدين الرسمي والدين الشعبي أن هناك قطبين، قطب التوحيد والسنة والوحي والمساواة في الإيمان، وقطب الاعتقاد في الأولياء والاختيار والحدس والتدرج في علاقة المؤمن بالله... عندما يصبح مفهوم الله شديد التجريد يحتاج المؤمن إلى وسيط حسي يصل بينه وبين الله([18]) وفي دراسة قام بها نور الدين طوالبي في قريتي "كرزاز" في جنوب الجزائر و"بني حمدون" حول دوافع السكان قد أكدوا إخلاصهم للأولياء وفي نظرهم فإن الولي هو " الممثل الشرعي لله وبدونه ما كان للإسلام أن ينتشر على الأرض ولما كان عزيزا جدا على قلوب المؤمنين([19]) ويضيف في مقام آخر "يتجلى البعد السيكولوجي للطقس هذا للأوساط الشعبية حيث أن هذا النمط من الطقوس يهدئ حالات القلق ويحقق نوعا من التوازن الداخلي".([20])

ويظهر هذا السياق السيكولوجي في الارتياح النفسي والشعور بإتمام الواجب عند القيام بهذه الاحتفالات قرب ضريح الولي الصالح وتشكل هذه الطقوس حلا لمشاكله الحياتية

[17] أحمد أمين، "ضحى الإسلام" ، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص99.
[18] بلعربي خالد، "ظاهرة زيارة الأولياء في المجتمع الجزائري"، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 1999 ص 65.
[19] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 138.
[20] نور الدين طوالبي،"في إشكالية المقدس"، ص 42.

وتنظيمها لقلقه حيث تخففه لاعتقاده في القدرات الخارقة لصاحب الضريح، ولشعوره الداخلي بأن عدم الإقبال على طقس الوعدة من شأنه أن يعيق طلباته ويؤثر على نيته اتجاه الولي وهو يصيغ هذا الشعور بالعبارات التالية:"تهز كياني فكرة الامتناع عن أداء واجب الوعدة أكون في حالة من التوتر العصبي الشديد، ولا اشعر بالتحسن إلا مع انتهاء الاحتفال الشعائري، أي بعبارة أخرى، عند إشباع حاجة للمقدس البدائي".([21])

تولد المشاكل اليومية نوعا من الإحباط في نفوس الكثير من الناس ويزداد القلق والتوتر عند استحالة إيجاد الحلول لها مما يؤدي إلى شعور بالعجز إزاءها لاسيما إذا وجدت هناك عراقيل، تمنع من تجاوزها. لذلك تلجأ الطبقات الشعبية إلى الأولياء وتغتنم الفرص أثناء قيام الاحتفالات لتحقيق طلباتها والتخفيف من آلامها ومن المظالم (أثناء اشتداد الكوارث الطبيعية، الأزمة الأمنية، مظالم الحكام) وحينما تعجز عن تجاوز هذه الأوضاع الصعبة حينذاك "تعتقد أن الأمل الوحيد لحلها يبقى مرتبطا بسلطة فوق بشرية عند الولي الصالح الذي تخضع له كلية ومن هنا تكون دوافع اللجوء إلى الأولياء لحل المشاكل والبحث عن الراحة النفسية ولا يكون ذلك إلا من خلال إحياء الطقس عند استحضار الماضي([22]) وبالتالي فإن إقامة الوعدات هي عملية توحي بالاطمئنان لدى هذه الأوساط، فالظلم والحرمان والفقر ليست إلا أسباب تدفع الناس إلى البحث عن أمل سحري يخلصها من معاناتها اليومية ويؤمن لها الهدوء والطمأنينة التي تعتبر أقوى حاجات الإنسان. ولهذا تلجأ الطبقات الشعبية

[21] المرجع نفسه، ص 21.
[22] غالي شكري، العرب بين الدين والسياسة، "مقال من كتاب " الإسلام والسياسة " الجزائر، درا موقم للنشر، ص88.

إلى أضرحة الأولياء وزاياهم لإقامة الاحتفالات الطقسية والتي تختتم غالبا بالدعاء وهو نوع من الترويح عن النفس والبحث عن الحلول المناسبة والأمل في الفرج القريب وفي هذا الصدد يقول حليم بركات في دراسة أجراها حول مسألة الاعتقاد بالأولياء في المجتمع العربي:" فليس من العجب أن تلجأ الطبقات المحرومة إلى الأولياء بحثا عن حلول لمشاكلها اليومية الاقتصادية والنفسية.([23])

2.7 الدوافع الاجتماعية والثقافية:

لقد دأب الناس على إقامة الاحتفالات احتفاءا بشيخ الطريقة عند زوايته كل سنة، وبتكرار هذه العملية أصبحت عادة اعتادها الناس. وقد يحتفل بالشيخ بعد مماته قرب ضريحه وتقام الولائم وتقدم الذبائح. وبهذا المعنى يصبح الاحتفال نوعا من الممارسات الاجتماعية والإجراءات المقررة التي تتصف بالمظهر الرسمي، وتلتقي فيها الشعائر والطقوس والمراسم والرموز والأساطير.... التي تبلورت جول معان وقيم وأحداث لا يمكن للأفراد أن يعزلوا أفكارهم ومشاعرهم عن التغني بها وتذاكرها في مناسبتها الدورية. وفي هذا الصدد يقول روس:"الاحتفال هو الرابطة التي تجمع شتات الجماهير، وإذا انحلت هذه الرابطة تفرقت الجماهير وأصبحت أمورها مضطربة."([24])

ولا شك أن التخلف الاقتصادي والثقافي يلعب دورا كبيرا في انتشار وترسيخ العادات والتقاليد الشعبية حتى تأخذ في كثير من الأحيان طابع القداسة وتختلط بالدين.

[23] محي الدين مختار- "محاضرات في علم النفس الاجتماعي" ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ص 119
[24] فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1980، ص 138.

ويعتقد الكثير أنها جزء لا يتجزأ منه كزيارة الأضرحة وقصد الزاوية لحل ما استعصى من المشاكل أو الاحتكام إلى الولي اعتقادا بأنه يعلم الغيب وأنه قادر على رد المظالم إلى أهلها.

وازداد تعلق، الناس بالأولياء وكراماتهم فازدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم وقد كانت سيطرة الطرق على الجماهير الشعبية كبيرة، وأصبح شيوخ الطرق يلعبون دورا أساسيا في المقام الأول منذ عهد المرابطين، فحياة الشعب كانت قاسية وكانت الطاعة كلية من المريد إلى الشيخ، أصبحت الحياة الروحية مقيدة بتقديس الشيخ، وأضحت أضرحة الشيوخ المتوفين موضوع عبادة.([25])

وقد أدى الإقبال المتزايد عليهم إلى رفع مكانتهم وتوسيع نفوذهم مما جعلهم يدعون الولاية وتحولت لديهم إلى وراثة يرث الابن أباه. ومن هنا كانت الفكرة القائلة: بأن البركة الإلهية تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبح جميعهم شيوخا يلتمس منهم الناس البركة كما تتسابق القبائل ليكون لكل منها وليها يعزز شوكتها ويدعم مركزها ويصبغ عليها بركته مما ساهم في انتشار الأولياء.([26])

لازالت المعتقدات الشعبية تتضمن الموروثات الثقافية التي ترتبط بعدد من العقائد والممارسات الباقية في المجتمع عبر مراحل تطوره المختلفة. ورغم أن هذه الموروثات قد فقدت وظيفتها الأساسية في المجتمع، فهي تملك القوة اللازمة للبقاء والاستمرار بفضل ما

[25] CHEIKH BOUAMRANE ET , LOUIS GARDET, « PANORAMA DE LA PENSEE ISLAMIQUE » Paris, 1984 p.143.
[26] فيلالي مختار الطاهر، مرجع سابق، ص 24.

تحتله من مكانة في السياق الثقافي للمجتمع الذي تنتمي إليه كالوعدة التي تأخذ قيمة دينية في منطقة ما لأن الناس يقومون بها إكراما للولي. وهي تستقطب آلاف الزوار الذين يحنون إلى عيش هذه الظاهرة نتيجة للترسبات الثقافية الماضية. وتعد الاحتفالات بمثابة تظاهرة طقس الوعدة مما يدفعها إلى إقامة هذه الوعدات التي تعتبرها وسيلة فعالة للحصول على المطر.

والى جانب هذا العامل فإن الاحتفالات تتميز بإقامة عدة نشاطات اقتصادية تستقطب اهتمام الوافدين وتشكل بذلك سوقا مفتوحة لمختلف المنتوجات الريفية إضافة إلى المنتوجات المصنعة التي يعرضها التجار. وقد استغل هذا النشاط قديما وحديثا حيث كان الفلاحون يعرضون منتوجاتهم الفلاحية والماسية التي تقدم كذبائح ومختلف السلع التقليدية وكانت تستغل كسوق سنوية لتصريف مختلف المنتوجات والتبادل بين أفراد القبيلة الوافدة.

أما حديثا فإنها تستغل كمكان لبيع مختلف المنتوجات وبهذا أصبح الدافع الاقتصادي ذا قيمة كبيرة سواء في نظر المنظمين أو الوافدين على الوعدة التي أصبحت تتيح اقتناء مختلف السلع من قبل سكان المنطقة أو الضيوف الوافدين عليها.

3.7 الدوافع السياسية:

للمحافظة على مصالحها المختلفة ولتدعيم موقفها واستقرار المجتمع لجأت السلطة ولازالت تلجأ إلى استخدام الدين لبلوغ هذه الأهداف وذلك عن طريق صرف نظر الشعب عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها يجعله يلتجئ إلى الأولياء والصالحين هروبا من

مواجهة الواقع الذي يعيشه. وهذا ما يجعل هذه السلطة تركز على التدين الشعبي وتشجيع المؤسسات الدينية الشعبية كالاهتمام بالأولياء وتقديسهم وإقامة المواليد والوعدات والتعلق بعبادة الأولياء وبهذا يصبح الدين من أجل تدعيم وجودها ويوظف في دعم موقفها وتثبيت شرعيتها ووجودها.([27])

يظهر موقف السلطة من هذه الممارسات حيث تلجأ مختلف مؤسساتها إلى المساهمة بشكل مباشر أو غير مباشر في تكريس هذه الطقوس عن طريق دعمها والإشراف عليها وتنظيميها في كثير من الحالات حيث يعهد إلى لجان للتنظيم غالبا ما يرأسها ويديرها أحد أفراد السلطة كرؤساء الدوائر والبلديات ويتمثل دورها إلى جانب عملية التنظيم في توفير الوسائل المادية من خيام ونقل وتوفير للمياه وغيرها مما يجعلها تتحكم في كل مجريات الأمور. وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تبذل أي جهد في تحويل هذه الطقوس من مهرجانات للخرافات والشعوذة إلى مهرجانات اجتماعية واقتصادية أكثر تقدمية بل أن المؤسسات الحكومية تقف في كثير من الأحيان موقف العجز أمام ضريح ولي من الأولياء كما يقف الإنسان العادي البسيط([28]) وتسعى السلطة من وراء ذلك إلى جعل الطبقات الشعبية تفوض أمرها للأولياء بهدف إبعادها عن التفكير في تغيير أوضاع المجتمع وبذلك تتحول إلى كائنات عاجزة سلبية لا تؤمن إلا بقدرة الأولياء تنتظر مصيرها المحتوم بصبر وأناة تجسيدا للمثل والشعار الطرقي القائل "ناكلو لقوت ونستناوا الموت".

[27] حليم بركات، "المجتمع العربي المعاصر"، بحث استطلاعي اجتماعي الطبعة الثالثة، دراسات الوحدة، 1986، ص 281.
[28] إبراهيم بدران، وسلوى الخماش، دراسة في العقلية العربية الخرافية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الحقيقة ، دون تاريخ ، ص129.

وإذا كان الأمر يقتصر في فترة الاحتلال على دعوة الحاكم العسكري والقياد ورؤساء القبائل والعشائر والدواوير والأئمة فلأن الاستعمار الفرنسي لم يكن ليسمح بإقامة وعدة لا يشرف عليها واستخدامها لأغراضه عن طريق الرخص التي كان يقدمها لإقامة الوعدات وقد استبدلت هذه الفئات في الوقت الحاضر بالسلطات المحلية المنتخبين (المجالس الولائية والبلدية والوطنية) حيث لا يخلو أي احتفال من حضورهم. وبهذا يتأكد الدافع السياسي إلى إقامة هذه الوعدات التي تسعى السلطة من خلالها إلى إلهاء الشعب وجعله يتعلق بتقديس الأولياء وإبعاده عن المشاكل الحقيقية وإعادة إحياء الفكر القبلي الضيق الذي لا يهتم إلا بمشاكله دون ربطها بالمشاكل التي يعاني منها جل الشعب وهذا من شأنه أن يصرفه عن التفكير في تغيير الظروف الكفيلة بتحسين أوضاعه بما يتناسب مع طموحاته وآماله.

8. وظائف الوعدة في المجتمع:

تنادي النظرية الوظيفية بضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية من حيث الوظيفة التي تؤديها. وكثيرا ما تبدو غامضة لا تخضع لمنطق يبرر وجودها غير أنها تتضح وتظهر معالمها حينما ننظر إلهي في علاقتها الوظيفية أي في أساسها في استمرار الحياة الاجتماعية في التركيز على فكرة التكامل الاجتماعي للأجزاء في الكل.

ويرى "راد كليف بروان RAD CLIFF BROWN" أن الوظيفة هي الإسهام الذي يسهم به كل فعل اجتماعي معين في الحياة الاجتماعية من أجل بقائها. فال..... الاجتماعي يشكل

وحدة وظيفية متكاملة ومنسجمة([29]) ومن هذا المنطق يركز على عناصر البناء الاجتماعي ويرى أن كل منها يؤدي وظيفة معينة. أما "مالينوفسكي" فيوسع هذا المجال ليشمل الحضارة بكل ما تتضمنه من معتقدات وأفكار وعناصر مادية وأن لكل منها وظيفة حيوية. وهو ما يؤكد على أن في كل نمط من أنماط الحضارة، لكل عادة، لكل موضوع مادي، ولكل فكرة، ولكل معتقد، يحقق وظيفة حيوية، واجبا يجب أن يؤديه وأنه كل منها يشمل جزءا ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه ضمن الكل الذي يشمله([30]) وبذلك تصبح الثقافة عنده عبارة عن بناء كلي وظيفي ومتكامل شبيه بالكائن الحي، وأننا نستطيع أن تفهم أي جزء من أية ثقافة إلا في ضوء علاقته الوظيفي بالكل.

ويؤكد كل منهما على أهمية التكامل والاعتقاد المتبادل بين أجزاء النسق الاجتماعي أو الثقافي وأهمية الدور الذي يلعبه الجزء في الكل الثقافي وأنه لا يمكن فهم الجزء إلا من خلال الكل أو خلال علاقته بالكل الاجتماعي أو الثقافي. وهكذا أصبح مدلول كلمة وظيفية يغطي في نفس الوقت الروابط القائمة بين العناصر الثقافية، والمساهمة التي يقدمها جزء من الثقافة إلى تلك الثقافة ككل.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى مختلف العادات والتقاليد التي يزخر بها المجتمع والتي تعبر عنها الطقوس المختلفة التي تحافظ عليها الفئات العريضة من المجتمع في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تؤدي وظيفة معينة في المجتمع استمرت

[29] سعاد محمد عبد العزيز، "ظاهرة الاعتقاد في السحر في المجتمع المصري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس القاهرة، 1982، ص116.
[30] نفس المرجع، الصفحة.

ودامت على مر الزمن على الرغم من تغير الظروف وحدوث تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية. ومن هذه العادات الذبح للطيرة، نحو أن تشتري دارا فتذبح لتبعد العين ولئلا يصبك مكروه من جنها وهو ما يقابله عند العامة الذبح على العتبة عند دخول الدار بعد بنائها أو شرائها. ومن ضمن هذه الطقوس يمكن ذكر إقامة الزردات بمناسبة ختان أو الزواج أو ذهاب وإياب الحاج إلى البقاع المقدسة مع ما يتطلبه كل من ذلك من طقوس تناسب كل منها ظاهرة معينة. ولعل من بين الطقوس التي استقطبت اهتمام الفئات على اختلاف مستوياتها هي لجوء العديد من الناس ولاسيما النساء إلى الكهنة والعرفين حينما ييأس من إيجاد لبعض المشاكل التي يتخبطن فيها كأن يعجز الطب في معالجة داء فمن أصابه مس من الجنون ينقل على قبة من القباب وتقوم النساء بذبح ديك أسود ويبيت المريض بجانب القرب ليشفى من المرض وقد تتخذ المزارات والتبرك بها وتعليق الخرق على أشجارها وتقديم الشموع والمباخر إلى الأضرحة وتقبيل جدران القباب والتضرع إلى صاحب الضريح من أجل كشف الأضرار ورجاء الخير وطلب الصحة والعافية والبركة والتظلم عنده عسى أن ينصف الشاكي ويرد عنه المظلم.

من هذه المعتقدات فإن الولي حينما يموت تظل روحه تنتقل بكل حرية من كل مكان ولقضاء حاجة فعلى الطالب أن يستنجد باسمه ليتم له ما أراد وهو سلوك يلجأ إليه الناس عند وقوع المصائب والكوارث فسيجدون بالوالي الصالح سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني "يا مولاي عبد القادر يا سلاك الواحلين" وقد رسخت هذه العادات في نفوس الناس وتوارثت

جيل عن جيل وشكلت عاملا مشتركا بين جميع فئات المجتمع طبع سلوكهم وأفعالهم وحياتهم اليومية. وبذلك أصبحوا وسائل دفاع عن هذه المعتقدات ذات الطابع المقدس. وهي ممارسة شعبية تأخذ في كثير من الحالات أهمية بالغة في نفوسهم قد تتجاوز في كثير من الحالات المعتقدات الدينية الإسلامية بسبب جهلهم لهذه الأخيرة. وفي هذا الإطار فإن الاحتفال السنوي على شرف الشيخ الزاوية وصاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة مقدسة بالنسبة لكافة أفراد القبيلة تجب إقامتها في وقتها المحدد مما يؤدي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدس اتجاه الولي يؤدي طواعية ودون إكراه.

وظاهرة الوعدة طقس من هذه الطقوس التي ارتبط بالتراث الشعبي وبالزوايا كمظهر من مظاهرها، وهي وإن طبعت بعض هذه المظاهر إلا أنها قد ظهرت ظهور هذه الأخيرة وقد أشرنا إلى ذلك عند التعرض لعادات السكان الجزائريين القدماء. وقد برزت من جديد عند ظهور عبادة الأولياء وشيوخ الطرق وقد تطابقت بساطتها مع بساطة أفكار الجماهير الشعبية واعتنقتها وأصبحت المدافعة عنها وقد تدعمت بفعل الدعم المتواصل الذي مثله رؤساء الطرق والزوايا ولاسيما في الفترتين العثمانية والاستعمارية الفرنسية. وبذلك توطدت أركانها واتسع مجالها ليشمل كل المناطق ولاسيما المناطق الغربية منها. وقد صاحبت الزوايا سابقا حيث كان يقوم القبيلة بحرث وزرع أراضي الزاوية وحصادها في فصل الصيف وهو ما يشبه إلى حد بعيد السخرة وتتوح هذه الحملة بإقامة وجبة جماعية على شرف المشاركين من قبل الشيخ وهو ما يعبر عنه بالوعدة. وهذه الظاهرة تتكرر كل سنة يقدم فيها الناس ولاءهم

اللامشروط للشيخ معتقدين فيه الكرامة والاطلاع على الغيب مما يجعلهم يتظلمون لديه عسى أن ينصفهم من ظالمهم إضافة إلى طلب الشفاء من الأمراض وغيرها من المطالب التي يرجون تحقيقها وكلهم اعتقاد راسخ في كفاءته وقدرته.

وقد أدى هذا الاعتقاد في شيوخ الطرق والزوايا والأولياء بالناس إلى الحلف بهم بدل الحلف بالله سبحانه وتعالى كما يجتنبون سبهم ظنا منهم أنهم مطلعون على سرائرهم وفي هذا الصدد يقول محمد بن مبارك الميلي:" فلم يطمئنوا إلا للحلف بأوليائهم وهكذا تراهم يعظمون الإيمان بأوليائهم ويخشون الحنت فيها أكثر من تعظيم اليمين بالله وخشية الحنت فيها.([31])

وقد أصبغت الذاكرة الشعبية طابع القداسة على هؤلاء الأولياء وجعلت واسطة بينهما وبين الخالق. ولذلك كان لزما عليها تعظيمهم عن طريق تقديم العطايا والصدقات والزيارات وإقامة الولائم على شرفهم أحياءا وأمواتا. ومن هنا أصبحت المعتقدات الشعبية هي المتحكمة في إقامة هذه الاحتفالات ويتدعم هذا الجانب الديني بالجانب الاقتصادي حيث أن إقامة الوعدات تعد عند الفلاحين والموالين من أسباب الاستسقاء ونزول الغيث ولاسيما حينما تنحصر الأمطار ويحل الجفاف. وقد تأخذ مكان صلاة الاستسقاء حينما تسمح الظروف المناخية بسقوط الأمطار.

ويزخر الغرب الجزائري بوعدات كثيرة، قلما تخلو منها منطقة. وتتباين فيما بينها على مستوى تظاهرتها الاقتصادية والاجتماعية و والثقافية أو على مستوى الهدف من إقامتها،

[31] مبارك بن محمد الميلي، "رسالة الشرك ومظاهره"، ص 259.

ويضاف إلى ذلك أهميتها بالنسبة للمنطقة وطابعها المحلي أو الجهوي أو الوطني. فهناك وعدات تقتصر على بعض القرى والمدن الصغيرة إن لمن نقل على بعض القبائل مما يجعل أهميتها محدودة محليا فقد يقوم بها بعض الكبار، وتصبح إقامتها مرهونة بوجودهم وقد تتلاشى نهائيا إذا لم تجد من يقوم بتجديد واستخلاف القائمين عليها.

وتختلف تركيبة من يؤمها عند الوعدات الصغيرة، إذ تستقطب أعدادا كبيرة من الناس ذوي مستويات ثقافية مختلفة ومن جميع أنحاء الوطن، ونظرا لأهميتها، فإن أجهزة الدولة تتدخل في عملية التنظيم، ويظهر تواجدها من خلال حضور ممثليها في مثل هذه التظاهرات كالولاة والنواب ورجال الدولة كما تساهم أجهزتها في توفير بعض الجوانب المادية، كنقل الأمتعة وحضور سيارات الإسعاف والأمن. وهي تحاول تأطير هذه الاحتفالات واستغلالها ثقافيا وسياسيا ولاسيما كوسيلة من وسائل محاربة التطرف وإظهار التدين الشعبي كبديل له لما يتسم به من بساطة في المعاملة. وأنه عام ومعتنق من قبل الجماهير الشعبية العريضة. وبهذه الطريقة فإنها تساهم في إعادة إنتاج مثل هذه الظواهر، وإعادة بعثها من جديد ولاسيما بعد فترة الجمود التي عرفتها البلاد.

أما من حيث التنظيم، فقد اعتاد المنظمون في مختلف التظاهرات الاحتفالية إقامة خيام كل دوائر بمغزل عن خيام دوار آخر على أن يقع موقعها بعيدا عن مكان الاحتفالات وهذا تجنبا لأي مشكل وحتى لا يختلط الغرباء بالعائلات المنظمة للوعدة. وبفعل التطور الاقتصادي المتزايد فقد تحول العديد من الوعدات إلى سبه أسابيع اقتصادية وأصبح البعض

الآخر يركز على الجانب الفولكلوري والثقافي. وقد تواجدت هذه الأصعدة منذ القدم في هذه الوعدات غير أنها تفاوتت بفعل التنمية الاقتصادية حيث أصبح التركيز في السنوات الأخيرة على الجانب الاقتصادي علما بأن الجوانب الأخرى لها أهميتها في إقامة هذه الاحتفالات.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإن الوعدة تظل حدثا مشتركا بين كثير من المناطق قاسمها المشترك طابعها الديني حتى لو أن هذا الأخير يعيدها انحرافا عن التعاليم الإسلامية الحقيقية الشيء الذي يتشبث به الأتباع معتقدين أنها تطبيقا للمبدأ الصوفي المعرف "اعتقد ولا تنتقد". ولعل هذا من بين الأسباب التي ساعدت على ديمومة الوعدة واستمراريتها. ولهذه الأخيرة دور كبير في حياة المجتمع ولاسيما الريفي منه حيث تدعم التماسك الاجتماعي بين أفراد القبيلة، وتحافظ على التقاليد والعادات الشعبية من الاندثار.

ويتعدى دورها إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي تغيرت بتغير العوامل المؤثرة فيها حسب المراحل التاريخية المتعاقبة (التغير من حيث المحتوى دون الجوهر)، ويمكن استشفاف ذلك من خلال دراسة وظائف الوعدة وهذا يقودنا إلى إلقاء الضوء على أسباب بقائها على الرغم من العوامل التغير الكثيرة مست المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته.

1.8 الوظيفة الاقتصادية:

الوعدة حدث مؤطر بالزمان والمكان تتميز به القبائل وتعرف به. فتقوم كل قبيلة سنويا بإقامة وعدة على شرف ولي معين تعرف بالميل له وإتباع طريقته وخدمة أحفاده حذوا بما ورثه

الآباء من محبة الولي ولأحفاده من بعده. تقام الاحتفالات من قبل قبيلة معينة أو بالاشتراك مع قبائل أخرى في فصل الخريف: أواخر شهر سبتمبر أو بداية شهر أكتوبر من كل سنة. ولم تكن الوعدة وليدة اليوم بل تضرب بأعماقها في القدم ولكن حسب أشكال مختلفة وتبعا لتطور المجتمع وتعرضه لثقافات الغزاة وقد اشرنا إلى ذلك عندما تعرضنا لأشكال الاحتفالات عند سكان الجزائر القدماء. وقد برزت من جديد مع ظهور الطرق والأولياء الصالحين الذين زخرت بهم والبلاد مع بداية القرن الخامس عشر الميلادي ولاسيما مع الوجود العثماني في الجزائر الذي عمل على تشجيع هذه الممارسات وأغدق الأموال على الشيوخ والأولياء وعلى مختلف الاحتفالات التي كانوا يقيمونها حتى يتمكن من تطويع الأتباع وحتى يستغل نفوذ هذه الطرق في توطيد أركان الخلافة العثمانية بالجزائر. وقد حافظت قوات الاحتلال الفرنسية على هذا الأسلوب في التعامل مع الطرق حيث أوعزت إلى القياد ورؤساء القبائل والأعراش عن المقاومة ولتأصيل الفكر القبلي الضيق حتى لا يكون هناك تفكير وطني في مقاومتها. وفي المقابل فقد شكلت الوعدات وطبعت الثقافة المحلية التي وجدت فيها ثقافة تميزها عن ثقافة المستعمر وتحافظ على مختلف العادات والتقاليد التي ترتبط الكثير منها بالتعاليم الإسلامية ومنها المحافظة على التماسك الاجتماعي لأفراد القبيلة وكثيرا من القيم كالضيافة والكرم والتكافل الاجتماعي وفك الخلافات والخصومات بين الأفراد دون الاعتماد على المؤسسات الفرنسية (الأحوال الشخصية، المعاملات العقارية، المواريث) وعلى الرغم من قوة الحضارة الغربية المدعمة بمختلف الوسائل المادية والعلمية. فإن هذه

التقاليد التي حافظت عليها الوعدة شكلت حصنا منيعا أمام الثقافة الوافدة استطاع مقاومة الغزو الثقافي الاستعماري، وحافظت على التواصل والتلاحم بين أفراد الشعب.

وقد كانت الأنشطة التي ترتكز عليها تضم الأنشطة الاقتصادية وبذلك أخذت معالم سوق سنوية مفتوحة لمختلف المنتوجات الريفية إضافة إلى منتوجات مصنعة يعرضها تجار محترفون يقتنيها الوافدون من أفراد القبائل الأخرى. كما يعرضون الفلاحون منتوجاتهم الفلاحية للبيع وسط خيام موزعة حسب طبيعة النشاط أو تعرض في أماكن مخصصة لذلك وغالبا ما تخص هذه المعروضات الحبوب والبقول الجافة والأعلاف والحيوانات للبيع ولاسيما الأغنام والماعز التي تشكل حيوانات مفضلة للذبح في هذه المناسبة.

بهذا تتم عملية تبادل الفائض من المنتوجات، أو شبه سوق مغلقة لسكانه المنطقة.

وقد كان هذا حالها أثناء الاحتلال الفرنسي لأن المجتمع الجزائري كان يعتمد على الاقتصاد الزراعي الذي يرتبط إنتاجه على ما تجود به السماء من أمطار لذلك يتمنى الفلاحون سقوطها بانتظام. وإذا حدث وتأخرت فإنهم يعزون ذلك إلى نقمة أصابتهم. وهذا ما يشكل سببا من أساب إقامة هذه الوعدات في بعض المناطق لاسيما في الشمال للاستسقاء الذي تحتاجه الأرض لإخراج نباتها وزيادة غلتها. ويعد الاحتفال في نظرهم وسيلة لاستدرار الأمطار ويرسخ في اعتقادهم حيث يلجأون إلى شيخ الزاوية أو مقدم الطريقة طالبين منهم الدعاء لهم بنزول الأمطار لأنهم ذوي بركة وأن دعائهم لا يرد. وقد ترسخت هذه الفكرة في عقول الناس ولازال الكثير من الناس ينسبون الجفاف وجدب الأرض بعدم إقامة الوعدات

وذهاب الربكة بعد تبني الناس أفكارا علمية تنفي أثر لهذه الظاهرة على سقوط الأمطار ويتساوى لديهم في هذا الشأن رجال الدين ورجال العلم على حد سواء لأن كل من الفريقين لا يؤمن بهذه المعتقدات الشعبية.

وقد ساعدت هذه السوق السنوية في رفع مدخول الفالحين عن طريق تشكيلها كمنفذ لمنتوجات الصناعة التقليدية التي كان تمتهنها الكثير من الجماهير كمنتوجات يؤدي بيعها إلى زيادة مداخيل الفلاحين يمكنهم من مواجهة النفقات المتزايدة التي كان يتطلبها الوضع أثناء الاحتلال ويضاف إلى هذه الحرف حرفة الخشب التي تستخرج منها الملاعق والمهاريز وغيرها من المنتوجات التقليدية التي كانت مزدهرة أثناء الاحتلال الفرنسي.

وقد تطورت هذه المنتوجات بتطور البنية التحتية للمجتمع وحلول الآلة مكان اليد حيث غزت المنتجات المصنعة الأسواق. غير أنها لم تقض على المتوجات القديمة كليا بل لازالت هناك سلع تقليدية تعرض ولكن بكميات قليلة وبأسعار مرتفعة وهناك حرف تستمد وجودها من تربية الماشية كصناعة الصوف والجلود (الزاود، الباريبح)[32] وهي منتوجات بسيطة تؤدي وظائف أساسية في المجتمع الريفي وترتكز عليها حياة السكان ويستغلونها في حياتهم اليومية. ويضاف إلى هذا توافد التجار المحترفين الذين يعرضون منتوجاتهم من الألبسة الكتانية والأدوات الحديدية البسيطة وغيرها.

[32] المزود، ج: مزاود: وعاء من الجلد يوضع فيه الدقيق

وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة هذا النشاط قد تغيرت بتغير المواد المعروضة وحلول التجار المحترفين محل الفلاحين والذين تنوعت منتوجاتهم بحيث أصبحت تشمل أنواعا متعددة وتشكل شبه سوق أسبوعية من حيث التنظيم والمواد المعروضة.

تكتمل النشاطات السابقة ببيع الحلويات والمشروبات التي غالبا ما تكون محط رحال الغرباء الوافدين على الوعدة من مناطق أخرى. ويشكل بيع الحلويات مناسبة هامة للأطفال.

لاقتنائها وقد تغيرت وضعية هذا النشاط بحيث أصبح يضم أجنحة خاصة بها حيث تقدم المشروبات المتنوعة إلى الوافدين بما يتوافق مع التقدم الذي عرفه المجتمع.

ولعل أكثر النشاطات التصاقا بالوعدة والملازمة لها والتي بدونها تصبح غير ذات أهمية لعبة الفروسية التي تتطلب توفير معدات خاصة بالفرسان والحصان والتي تقع على عاتق حرفة الحدادة وإصلاح السروج والأسلحة التي تستعمل في لعبة البارود المرافقة للعبة وللرقصات الشعبية التي قلما تخلو وعدة منها. وقد استمرت هذه الحرفة. وهناك أمل لإعادة إحيائها بفعل العودة إلى مهرجانات ألعاب الفروسية التي أصبحت تقام بانتظام وكذلك إعادة إحياء كثير من الوعدات التي تشكل الفروسية فيها اللعبة الرئيسية (القوم)[33] كما يسميها العامة في بعض المناطق.

مما سبق يتبين أن الوظيفة الاقتصادية هي وظيفة أساسية بحيث تشكل سوقا سنوية للمنتوجات الريفية تساهم في تطوير الاقتصاد المحلي وما يكمله من نشاطات مساعدة، وتعد

[33] البورابح: غطاء مصنوع من الصوف يستخدم في الفراش

عنصرا هاما هي تثبيت الجماهير الريفية وتحسين أوضاعها وعامل حفظ وتنشيط للتراث الثقافي والفني ومصدرا للدعاية الداخلية والخارجية للفن الشعبي.

2.8 التكافل الاجتماعي

وظيفة التكافل الاجتماعي أساسية ينص عليها الدين الإسلامي في القرآن والحديث.

وقد جسدتها الممارسات الشعبية من خلال بعض العادات والتقاليد التي صاحبت الوعدات وتتمثل من خلال إبراز الكرم وحسن الضيافة اتجاه الوافدين عليها وتقديم الأطعمة إلى مختلف فئات الناس والصدقات لليتامى وتقديم يد العون للمحتاجين والغرباء وغيرهم. وقد نبعت هذه العادات من تراث الشعب إذ أن المرابطين الصالحين كانوا يرشدون الناس إلى أمور دينهم فيحسنون إلى الفقراء ويصلحون ذات البين.

ويستغل أشراف القبيلة هذا التجمع لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وفك الخلافات والبث في النزاعات العقارية وتوزيع مياه السقي بين العائلات والفصل في قضايا الطلاق والحضانة وتوزيع الميراث ويستعان في هذا بإمام ملم بالأحكام والشرعية.

وبكلمة مجملة فإن الجماعة تشكل هيكل للعدل يتحكم إليه الأهالي ويرضون بأحكامه مقابل العدل الفرنسي، الذي لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع الجزائري. وفي كثير من الحالات تكون الوعدة مناسبة لعقد قران الكثير من الأفراد حيث تتم أمام الإمام. وتساهم الوعدة في تنظيم الكثير حملات التويزة (التطوع) لمساعدة بعض المساكين على بناء منازلهم أو حفر قنوات السقي أو غير ذلك من الأشغال الجماعية التي يعود نفعها على الجميع.

ويبرز هذا الدور ويتجسد من خلال تلك القيم التي توارثت عبر الأزمنة الطويلة والتي قام الناس بها انطلاقا من شعورهم الإنساني بضرورة العمل للتخفيف من آلام الآخرين عن طريق تقديم العون إلى من يستحقها وإشعارهم بأن روح التآخي التي تحث عليها التعاليم الإسلامية من شأنها تدعيم التعاطف والتكاتف بين كل أفراد الشعب. وقد ترسخت هذه العادات بفضل أهل الزوايا الذي كانوا يعلمون الناس شؤون دينهم وينشرون الأخوة الإسلامية بينهم([34]).

وتكاد هذه الوظيفة أن تغطي كل الممارسات في هذه الاحتفالات إن لم نقل كلها والتي تعد في نظر العامة من الحتميات الملازمة لها تلازما وظيفيا لا يكاد ينفصم عنها.

إن الإحسان إلى الفقراء والمساكين من الواجبات عليها يركزون عليها في احتفالات الوعدات وبهذه الطريقة فإنهم يساهمون في تجسيد وظيفة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع. وسيادة هذه القيم في المجتمع البدوي يرجع أساسا إلى قوة التقاليد والعادات التي أصبحت تشكل أحد الروافد الرئيسية للإطار الثقافي الذي تتحرك فيه مختلف الأفكار والمعتقدات والقيم التي لا يشوبها التغير والتبدل بسرعة وإنما تقاوم مختلف الظروف ولاسيما إذا رأت فيه القوى الجديدة تقاليد إيجابية تخدم مصالحها مما يستلزم الدفاع عنها والمحافظة عليها.

[34] أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (20/16م) الجزء الأول، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 494.

3.8 الوظيفة الثقافية

تشتمل الثقافة على معارف الإنسان ومعتقداته وأعرافه وسلوكاته، وهي المركب الذي يحدد منطلقاته في الحياة، ويوجه عمله وأساليب حياته وممارسة علاقاته المجتمعية والفردية وأهمية الثقافة كعنصر يحدد الأفكار والسلوكات والظواهر الاجتماعية، يجعلها محور الرهان ولب اهتمام كل الحركات والاتجاهات والقوى السياسية والفكرية والعقائدية منذ بدء الحياة على هذه الأرض ولذلك تختلف الشعوب والأمم على هذه الأرض من حيث طبيعة المعيشة وأنماطها وتاريخها وحضارتها، وتنحصر ثقافة شعب معين في أفكاره وتقاليده المشتركة بين أفراده دون سواهم.

الوعدة ظاهرة ثقافة في حد تحوي العديد من العادات والتقاليد والطقوس التي طبعت سلوك الأفراد منذ زمن بعيد. وهي تعيد إنتاج هذه الأخيرة بما توفره من إطار للمحافظة على ما تركته الأجيال السابقة. ولذلك فيه تكتسي أهمية بالغة بما تقدمه من أسباب الحماية للتراث الشعبي وما تمثله من تمايز عن الثقافات الأخرى. وقد استطاعت أن ترفض السياسة الاستعمارية الداعية إلى الاندماج والذوبان، وقاومت الثقافة المتبدلة التي لا تعبر عن كرامة وطموحات الشعب. وكانت تدعو إلى استعادة الحق الضائع وحرية إبداء التمييز عن المغتضب، وبذلك حافظت على التراث الشعبي لأن الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات تتظافر وتتجلى في هذه الظاهرة.

تعود الوعدة كل سنة لتسترجع الجماهير ماضيها القريب والبعيد، وتستنير بدروس الماضي لتجيب عن أسئلة الحاضر، وفي علاقة الحاضر بالماضي، يقوم الحاضر بتصحيح أسئلة الماضي كما يعيد الماضي قراءة الحاضر ليمنحه القدرة على السير([35]) ويدرك من يفد على الوعدة ذلك التوصل والحوار المستمر بين الماضي والحاضر من خلال التراث الشعبي والترابط الوثيق بينهما ليظل الأول قائما في قلب الثاني يمنع عنه إمكانية الانسلاخ عن هذه التقاليد العريقة. ولعل أشهر هذه العادات هي لعبة الفروسية التي لا تكاد تخلو منها أي احتفالات وهي لعبة رياضية إسلامية حيث تتبارى الخيول يتفاخر الفرسان في شكل "علفات" وكل علفة[36] تبرز ما لها من انسجام بين أفاردها يجدوها في ذلك إظهار ما للقبيلة التي تنتمي إليها من تنظيم ورزانة في هذا الميدان. وقد حث الدين الإسلامي المسلمين على ممارستها لما لها من علاقة في تكوين المجاهدين سواء من أجل الدفاع عن بلاد الإسلام أو في الفتوحات. وفي هذا الشأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رمية بقوسهم وتأدية فرسه وملاعبته أهله، فإنه من الحق".([37]) ولذلك تجد هذه اللعبة مدلولها في هذه الاحتفالات حيث تلازمها، ويصاحب ممارستها إطلاق البارود وقرض الشعر الملحون من قبل أفراد الفرقة وهو يطلق عليه بالعامية "اللغيط".

[35] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص 495.
[36] ع، بن بريك، "بركة سيدي الهواري"، المجاهد، عدد 1458 المؤرخ في : 1988/07/15.
[37] هي فرقة الخيالة

وتجلب هذه اللعبة الهواة والمحترفين الذين يرون فيها مجدهم وشهامة الإنسان العربي ومدى ما قدمه الجواد من خدمات جليلة في مختلف الحروب والفتوحات الإسلامية في القديم وما أصبح يمثله في الاحتفالات إذ لا تتم إلا به ولا يكتمل الجاه إلا باكتسابه.

والى جانب هذه الممارسة تتخلل الاحتفالات ألعاب أخرى متنوعة كالألعاب الفولكلورية تمارس من قبل النساء والرجال. يلجأ الرجال إلى رقصة العلاوي حيث يرقصون على أنغام المزمار "الناي" والدف أو القلال وقد تتعدد الرقصات حسب الفرق المشاركة وحسب المناطق ويحس الزائر أنه وسط أعراس أقيمت خصيصا لإحياء هذه الاحتفالات التي تتخللها تلك المقاطع التي يرددها "البراج" أما النساء فيرقصن رقصة الصف وسط حلقات نسوية تستبعد الاختلاط بالرجال وكثيرا ما تغتنم الفرصة في هذه المناسبة من قبل المداحين الذين يقومون بسرد قصص شعبية توارثوها جيل عن جيل. وقد وظفت أثناء الاحتلال لشحد الهمم ورفع المعنويات وإيقاظ الضمائر. وقد نشأت معظم هذه القصص في مجالس الجماعات الصوفية.... كجزء من الطقوس التي تؤديها الجماعية في حرة الولي.... وقد انتقلت من الجماعات إلى الأوساط الشعبية الأخرى عن طريق دعاة الطرق الصوفية والرواة المحترفين الذين كان بعضهم أعضاء في هذه الجماعات الدينية.([38])

وتقدم هذه القصص في لغة بسيطة يفهمها الجميع تتخلها أبيات شعرية تروى قصص المعارك الإسلامية والغزوات التي تمت في الفتوحات وبذلك ساهمت هذه القصص في رفع السكان حول الظلم الممارس عليهم من قبل المستعمر. وقد استمر هؤلاء الحكاة في سرد هذه

[38] السيد سابق، "فقه السنة"، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، ص 638.

القصص حتى بعد الاستقلال ولازال منهم يجوبون الوعدات مقدمين خدماتهم للناس في هذا المجال.

4.8 الوظيفية الدينية

لقد عملت الوعدة على تحصين الشخصية الوطنية وحمتها من الاستلاب الثقافي الفرنسي عن طريق ما مثله من تمايز عن الثقافة الاستعمارية. وقد احتمى الشعب عند ما شعر بخطر الهجمة الاستعمارية فدافع بذلك عن دينه وشخصيته. وقد استغلت مختلف الاحتفالات الجمع الزكاة لبناء المساجد والمدارس والزوايا. ووفرت الظروف الضرورية لتعليم الأطفال القرآن الكريم والقراءة والكتابة. وفصلت الجماعة في الأحوال الشخصية حسب الشريعة الإسلامية.

كما تحل كثير من المشاكل والخصومات نظرا لوجود أصحاب الجاه وكبار رجال القبيلة أو رؤساء الطرق والزوايا الذين لهم نفوذ كبير في تذليل الصعاب وفض الخلافات. وبذلك تساهم الوعدة في حقن الدماء وحل المشاكل العالقة بين القبائل حول النزاعات العقارية وتوزيع مياه السقي وتخصيص المراعي. كما تناقش شروط تعليم الصبيان مع الأئمة وتدفع نفقاتهم (نصيب من المال ونصيب من المؤونة الغذائية من قبل الجماعة) وهي شروط يتم الاتفاق عليها مسبقا وتجسد غالبا سنويا.

وتتوح هذه الوظيفة بطلب الاستسقاء والبركة ويتم ذلك بع اختتام الاحتفالات حين إقامة الفاتحة حيث يقوم الشيخ أو المقدم أم إمام القبيلة بالدعاء بالخير وأن تعاد المناسبة وظروف طيبة.

إن هذه الوظيفة تؤدي في آخر المطاف إلى تهيئة الظروف المناسبة للتماسك الاجتماعي القبلي، وهو شيء مفيد للقبيلة يشعر الفرد بولائه للقبيلة غير أنه كان يعيق نمو الشعور الوطني ويمنع قيام رأي عام موحد في الوطن وهذا ما استغله الاستعمار الفرنسي لتبديد جهود وطاقات الشعب ومنع قيام مقاومة حقيقية بين القبائل شعبية إلى سياسة "فرق تسد" وإضرام الفتنة والتناحر بين القبائل عن طريق شيوخ الطرق. وإذا كانت هذه الوظيفة قد أدتها تبعا لظروف معينة فإنها بالمقابل حافظت على وظائف كثيرة ساهمت في الحفاظ على عادات وتقاليد الشعب وميزت ثقافته عن ثقافة الغزاة. وبهذا فقد قدمت للمجتمع أعظم خدمة وأجلها كان لها عظيم الأثر في الحفاظ على هويته الشخصية.

نخلص القول أن الشعب الجزائري يحتضن هذه الظاهرة إنما يجمع في حياته بين القديم والجديد بل يعيش في القديم بقدر ما يعيش في الحاضر. وهكذا يؤكد أن التقاليد نشأت في رحم المجتمع ومن طبيعته ومن تفاعل العلاقات بين أفراده منذ القديم. ومن الصعب تغيير هذه الأوضاع بسهولة وذلك لأن النظم والأوضاع الراسخة في طبيعة البيئة قلما تقبل

التطور أو التحرير إلا في الحدود التي يسعها العقل الجمعي أما العناصر الدخيلة فتكون عادة أكثر استجابة للتحول وأكثر خضوعا لإحلال.([39])

9. أثر التغير على عادات وتقاليد الوعدة:

تخضع جميع مظاهر الكون وشؤون الحياة على ظاهرة التغير التي يمكن تعريفها بأنها: كل تحول يحدث في النظم والإنسان والأجهزة([40]) الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة وأن أي تغير يحدث في ظاهرة لابد أن تؤدي إلى التغيرات فرعية تمس مختلف جوانب الحياة بدرجات متفاوتة. وهو سمة من سمات الحياة والإنسان والمجتمع بحيث يؤثر كل عنصر في العناصر الأخرى بما لديه من طاقة وديناميكية كما يتأثر هو بغيره من العناصر. ويحدث في جميع البيئات غير أنه يختلف من حيث السرعة والعمق.

وقد عاشت المجتمعات القديمة في نمط واحد مستقر لآلاف السنين دون أن يمس عاداتها وتقاليدها تغير يذكر وحتى وإن وقعت تغيرات طفيفة فإنها لم تكن لتؤثر على المجرى العام للثقافة السائدة آنذاك. غير أنه بالمقابل فإن عملية التغيير قد تصبح عملية متسارعة تمس كل مجالات الحياة نتيجة لعوامل متعددة كالعامل التكنولوجي والاجتماعي والثقافي وغيره مما يحتم وجود تغيرات تصيب العادات والتقاليد ولاسيما بالنسبة للمجتمعات الحديثة التي تتأثر بانتقال الظواهر الاجتماعية من مجتمع إلى آخر أثر تقدم وسائل الاتصال المختلفة التي

[39] عبد الحميد، بورايو بن الطاهر، " القصص الشعبي في منطقة بسكرة"، دراسة ميدانية –الجزائر ": المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص108.

[40] مصطفى الخشاب، "علم الاجتماع ومدارسه ، المدخل إلى علم الاجتماع"، الكتاب الثاني، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1998 ، ص88.

تتعلق بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية المختلفة كما أن التقدم العلمي له آثاره على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم وتطور القانون([41]) .

وإذا رجعنا إلى التغير الثقافي وجدنا أن الثقافة دائمة التغير حيث أن عناصرها تخضع لتحول مستمر وإن كان تدريجيا غير واضح. ويحدث هذا التغير نتيجة لتعقد المجتمع في تنظيماته وعلاقاته ويبدأ التناقض والصراع بين القوى الثقافية أي أن نتيجة للتغيرات الاجتماعية يحدث اضطرابا في النظم والعلاقات التي تنظم سلوك الأفراد([42]) ويظهر بذلك الصراع بين القديم والحديث وما يتفق معه من قيم وأنماط سلوكية وبين الجديد وما يتطلبه من قيم واتجاهات وأنماط سلوكية مختلفة. فالمجموعة التي تمثل القيم التقليدية تدافع عن نفسها ضد التغيير الذي تؤيده مجموعة أخرى التي تكون مقتنعة بفائدته وترتكز نظرة المجموعة التقليدية أو المحافظة على تصوير الواقع والماضي على أنه أنسب من المستحدث. وهذا يفسر الموقف السلبي الذي تقفه بعض المجموعات المعارضة للتغيير. فالتكوين العقلي لهذه المجموعات يصور لها أن النموذج الماضي التقليدي هو النموذج الذهبي([43]) وأن الجيل المفضل هو جيل الكبار الذين يملكون العقل والحكمة نتيجة للسنين العديدة من التجارب والملاحظات التي اكتسبوها. وبهذا يكون التغيير أسرع في الثقافة المادية عنها في الثقافة اللامادية وفي هذا المجال يقول محمد لبيب النجيحي:" والتقدم الثقافي

[41] محمد حسين العمايرة، "أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية"، الطبعة الأولى، عمان دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1999، ص 208.
[42] أحمد الخشاب، "التغير الاجتماعي" ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971، ص61.
[43] محمد حسن العمايرة، مرجع سابق ذكره، ص255.

البطيء الذي قد نشاهده في بعض المجتمعات يرجع في كثير من مظاهره إلى انعزال هذه المجتمعات عن غيرها والى اعتمادها على قدرات أفرادها العقلية.([44])

والإنسان ككائن ثقافي لا يستطيع أن يحرر ذاته من الثقافة التي ينتمي إليها سواء خضع للثقافة الرسمية أو للثقافة الشعبية. ومعنى ذلك أن كل الناس مهما كانت انتماءاتهم الطبقية فإنهم ليسوا مقطوعي الصلة بالثقافة الشعبية وبالعادات والتقاليد وبتراثهم الشعبي في بيئاتهم المحلية إذ لا أحد ينكر أنه لا يوجد إنسان يخضع خضوعا كاملا لسلطان العقل ولمقتضيات الثقافة المكتسبة وبالمثل لا يوجد في ميدان الإحساسات والعواطف التي تنص عليها الثقافة المأثورة ولا يستطيع أكثر الناس استقلالا داخل إحدى الثقافات الزعم أنه بعيد ويمكنه الهروب من هذا التأثير أو تفاديه[45] ولذلك يستمر بقاء ودوام العادات والتقاليد على الرغم من الزخم الهائل من التطورات والتغيرات التي يعرفها المجتمع في كافة الميادين نتيجة لتعرضه لمختلف التأثيرات المتأتية من المجتمعات المتقدمة. وهذا ما يمكن استشفافه من خلال دراسة مقارنة للعادات والتقاليد التي تزخر بها ظاهرة الوعدة في القديم والحديث والتي وإن تأثرت في الجانب المادي عن طريق التطور الذي مس بعض العادات في جانبها المادي فإن الجانب الثقافي اللامادي لم يتأثر تأثرا كبيرا وبقيت الوعدة محافظة على الكثير من العادات والتقاليد الشعبية القديمة التي تتقاسمها مناطق كثيرة من الوطن.

[44] أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص53

[45] محمد لبيب النجيحي: "الأسس والحياة الاجتماعية في مصر"، القاهرة: 1980، ص 282.

يعد العامل الثقافي من العوامل المؤثرة في التغير الاجتماعي حيث أن انتشار وسائل الاتصال يساعد على انتشار الثقافات، وحيث أن معظم السمات الثقافية الجديدة تنتقل من خلال الانتشار فإن المجتمعات الوثيقة الاتصال بغيرها من المجتمعات هي أكثر عرضة للتغير السريع.([46]) وتتغير الثقافة عندما تدخل عليها عناصر ثقافية أخرى ويتم ذلك عن طريق الانتشار الثقافي وقبول بعض الثقافة لأن سمات ثقافة مجتمع معين لا تكون كلها مقبولة بالنسبة لمجتمع آخر. ومن ثم يقبل بعضها ويرفض بعضها وبوجه عام، فإن التكنولوجيا أو التقنيات المختلفة تكون أسرع انتشارا، في حين أن السمات الغير مادية من الثقافة، كالمعتقدات، والقيم، يمكن أن ترفض كلية، أو يؤخذ بعضها الذي لا يتعارض مع العقيدة الدينية بوجه خاص([47]) وذلك لاختلاف قيم الحياة من مجتمع لآخر تبعا لاختلاف نظرة أفراد المجتمع لطبيعة الحياة التي يعيشونها.

وبصفة عامة، فقد تفقد العناصر القديمة أهميتها ووظيفتها أثناء التغير، وقد تستمر العناصر القديمة وتعيش مع العناصر الجديدة بصورة تختلف أو تتغير فيما مسألة التساند لأي منها([48]) الأمر الذي يعني أن تواجد القديم مع الجديد يعكس نوعا من الغير التدريجي وهو الأكثر ملائمة للمجتمع.

إن التغير التدريجي يعبر عن التغير البطيء والغير ملاحظ غير أن عدم ملاحظته لا يعيني لا يحدث، فالتغير يتم في المجتمعات حتى ولو أنها لا تتصل بالعالم الخارجي وذلك

---

[46] محمد الجوهري، "علم الفلكلور" دراسة في الأنتروبولوجيا الثقافية، ص101.

[47] نعيمة عبد الله حسنين، "التغير الاجتماعي والتباين القيمي في المجتمع القيمي"، دراسة ميدانية لعينة من سكان مدينة الدولة، رسالة ماجستير، كية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1994،/ ص34.

[48] بث هين وآخرون، "علم الاجتماع" ترجمة محمد مصطفى الشعبيني، السعودية، دار المريخ 1989، ص658.

استنادا على ثبات نسق الأفكار والاكتفاء الذاتي الاقتصادي الذي تعيشه. وبمرور الزمن تحدث التغيرات وإن كانت بطيئة. وبهذا فإن نطاق التغير في العالم الحديث ومعدله أسرع منه في الفترات السابقة، ولهذا فغنه من الحقائق التي يجب أن نعترف بها إن أية تغيرات بسيطة ربما تكون جزءا هاما للاستمرار.

وإذا كنا نقر بوجود التغير سواء كان ثوريا أو تدريجيا في البناء الاجتماعي، فإن هذا التغير قد يقبل من أفراد المجتمع في الجانب المادي وقد لا يقبلونه إذا كان يمس صميم الثقافة والقيم وهذا ما يسمى بالفجوة الثقافية. ومع مرور الوقت تتغير بعض الجوانب اللامادية للثقافة.

ويصبح التغير الثقافي متضمنا لتعديلات في المعايير الاجتماعية وأنظمة الاعتقاد ومنظومات الرموز والقيم التكنولوجيا.([49])

يبدأ التغير في قطاع معين من الثقافة. ويؤدي هذا إلى اضطرب واختلال في العناصر الثقافية. وهو ما يهدد التوازن العام للثقافة، بحيث يتحتم تجربة محاولات عديدة لخلق حالة من التكيف الجديد القديم، أو إعادة صياغة القديم بحيث يتلاءم مع التغيرات الجديدة([50]) غير أن نجاح أو فشل هذه التعديلات مشروط بالقبول الاجتماعي لها. وسواء كان التجديد نابعا من المجتمع أو مستعارا فإن مجدده يبدأ باستخدامه في مجتمع فردية ولكي يصبح عنصرا ثقافيا يجب أن يحظى بالقبول الاجتماعي.

[49] ناصر ثابت، "دراسات في علم الاجتماع التربوي"، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة الفلاح، 1990، ص 188.
[50] نعيمة عبد الله حسنين، مرجع سابق، ص42.

ويتحدد هذا القبول انطلاقا من امتلاك المجتمع لثقافة متجانسة ومتكاملة تقاوم التغيرات السلبية وتحتفظ بالقيم الايجابية لأن هذه الأخيرة لا تتغير كليا ولا تختفي تماما بتغير الظروف المادية للمجتمع لأن كل مرحلة من مراحل المجتمع تغطى فيه أنساق معينة من القيم بفعل الظروف المادية التي تسودها دون محو للقيام السابقة عليها، وكل أنساق القيم في جميع مراحل التطور الاجتماعي في كل مجتمع تتسم بالتناقض أو الصراع بين الأضداد.([51])

10. العادات والتقاليد الشعبية بين القديم والحديث

لقد حافظت الوعدات على كثير من العادات والتقاليد والفنون الشعبية التي لازالت تحتفظ بقيمتها وأهميتها في أعين الوافدين ولولاها لفقدت الاحتفالات خاصية هامة هي خاصية استقطاب العديد من الوافدين عليها. ومن هذه الألعاب التي لا تكاد تخلو منها أي تظاهرة هي لعبة الفروسية التي ينتظرها الناس بفارغ الصبر حيث تشرئب الأعناق لرؤيتها حين تنطلق نختلف "العلفات" كالريح وقد رمى الفرسان أسلحتهم في الهواء ليتم التقاطها وهم في سباقهم، وفي نفس الوقت الذي تكون الخيول تجري كالسهام يقوم الرجال بإطلاق النار في وقت واحد وفي تناسق بديع يظهر الانسجام في هذه اللعبة. وبمجرد الانتهاء من الطلقات تتوقف الخيول لعلى الجري،وكأنها تدرك هذه الحركة نظرا لما دأبت عليه من تكرار هذه التجربة في مختلف تظاهرات الوعدات التي يشارك فيها أصحابها. والى جانب هذه اللعبة

[51] محمد الجوهري، "علم الاجتماع وقضايا التنمية في العلم الثالث"، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، 1985، ص108.

هناك الألعاب الغنائية التي تقوم بها النساء والرقصات الشعبية التي تتم على أنغام الدفوف وهي متنوعة كرقصة النهارية والعلاوية والبارودية وغيرها من الرقاصات ويضاف إلى ذلك مختلف الألعاب كألعاب المصارعة بالعصي وغيرها من الألعاب التي يلاحظها الوافد على هذه الاحتفالات. وهي ألعاب وفنون تصاحب مختلف التظاهرات وقد حافظ عليها الناس منذ زمن بعيد.

إن الجانب التجاري في الوعدة قد رافقها منذ وقت طويل حيث كانت تقتصر المنتوجات على الحلويات والمنتوجات التقليدية والفواكه المسمى، الرقيق، والمطلوع ومنتوجات أخرى لأن الطعام ككل الطقوس هو أيضا ذريعة للتجارة. وقد تغبرت المنتوجات لتحل محلها منتوجات مصنعة الكترونية وغيرها التي أصبحت تزاحم المنتوجات التقليدية حيث تفرد أجنحة خاصة خاصة ببيع السلع والمنتوجات المختلفة. وتنتصب الخيام الكبيرة التي تأوي مختلف الدواوير كل دوار يأخذ مساحة معينة يقيم فيها أفراده. وتتوسط هذه الدواوير خيمة شرفية لاستقبال السلطات حيث يجلس أمامها رجال يشتغلون بشواء الخرفان التي توضع النار وتتزين بقضبان الملفوف. ويوجد على البساط صحن كبير يوضع فيه الشواء الذي يكون فيه خد بواسطة سكين قبل طهيه، يقوم سيد الخيمة الشرفية بأخذ قطعة لحم وتقديمها إلى الشخص الأكثر جاها من بين ضيوفه، وهذه العادة تدخل في إطار كرم الضيافة وهي عادة بقية متوازنة في كثير من المناطق حيث لا تخلوا أي وعدة من رجال السلطة والجاه والتي يتوجب

إكرامهم لم يشغلونه من مناصب إدارية أو سياسية، وقد سايرت هذه العادة مختلف الحقب الزمنية سواء ما تعلق بالمرحلة العثمانية أو الفرنسية أو مرحلة الاستقلال.

بتخلل الاحتفالات كما أسلفنا الفرق الغنائية كشيوخ والبراحة والذين يعرفون كيف يجلبون الناس ويصلون إلى "الغرامة" أي تغريمهم للأفراد نتيجة لتعاطيهم الرقص كما تظلل أخرى لاعبي الحظ والقمار الذين يتحلقون للعب البطاقة وغيرها من ألعاب الحظ.

ومن العادات التي لازالت سارية عادة إيواء الضيوف والغرباء في الخيام والبيوت وفي الملحقات التابعة للضريح كما ينام بعض الناس في الطرق بعد استماعهم لتلاوة القرآن بواسطة حلقة الطلبة، وفي العالم العجيب فإن بعض الزوار يأتون خصيصا لزيارة الضريح وآخرون للألعاب وألعاب الفروسية وآخرون للسهرات الدينية وآخرون لموسيقى الشيوخ وهناك من يأتي للكسكس وقطع اللحم المقدمة مجانا طيلة أيام الوعدة للفقراء والمساكين على حد سواء.

11 . عادات تقديم الطعام:

هناك نوع من التراتبية في مجال تقديم الطعام حيث يرتكز على ثلاث مستويات:

الرجال الكبار، الشباب والنساء والأطفال والى جانب هذه المجموعات هناك تصنيف آخر يعتمد في الكثير من الوعدات حيث يتم على مستويين: رجال السلطة والحياة وعامة الشعب وبالنسبة للفئة الأولى فإنها تحظى بالخروف المشوي الذي يصاحبه "المبسس الساخن" ثم يأتي بعد ذلك المرق الممزوج باللحم وأخيرا يعطى للحاضرين الكسكس في قطع كبيرة

من الخشب فوق الموائد، يؤكل اللحم باليد دون السكاكين والشوكات أما بالنسبة للنساء تستعمل ملاعق من الخشب وغالبا واحدة تستعمل من قبل الجميع.

أما الكسكسي فإما بواسطة الملاعق وفي أغلب الحالات عند عدم توفرها بالأصابع ومن الأفضل أن تكون باليد اليمنى على شكل كرة صغيرة تقذف في الهواء من قبل الآكل لتبريدها ثم تبلغ بسرعة وهذه العدة تشبه إلى حد كبير عادة الأكل في المشرق العربي حيث يجمع الآكل الأرز بأصابعه ويعلم منه كتلة صغيرة قدر الليمونة ويقلبها في راحته حتى تستدير تماما ثم يغمسها بالمرق ويدفعها فيه بالإبهام ويزدردها ولا يكاد يمضغها بأسنانه أما الملعقة والخاشوقة كما يسمونها فلا استعمال لها عندهم وقتئذ([52]) .

أما ما يقوم للعامة فإنه يقتصر في كثير من الأحيان من الحالات على الكسكسي واللحم الذي يعتبر الوجبة المفضلة للطبقات الشعبية التي تفقده لفترات طويلة من السنة وتجد في هذه الاحتفالات فرصة ثمينة للحصول على مثل هذه المأكولات تتدخل الآداب الإسلامية في مجال الأكل حيث يتطلب الاستعمال الأمثل للصحن الأكل من الجانب الذي يليه وفقا للحديث الشريف الداعي إلى ذلك وحفر حفرة صغيرة وترك الوسط لأن هناك حكمة شعبية توصي بتركه لأن البركة تنتزل عليه وللشرب يستخدم مرجل يكون قد استعمل في حلب الأغنام أو جلب الماء، على أن الأكل إذا أرادوا الشرب، يكرعون كلهم في إناء واحد ولا تعاف أنفسهم([53]) ومن العادة أيضا ألا تنفخ الشارب في الكوب الذي يشرب منه تجسدا

[52] سمير نعيم أحمد، "الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي ومقالات في المشكلات الاجتماعية والانحراف الاجتماعي"، القاهرة مكتب سعيد رأفت، ص41 (بدون تاريخ).
[53] الخوري بولس، سيور البولسي، "عوائد العرب"، بيروت: دار الرائد العربي، 1983، ص 18.

للحديث الشريف الذي يمنع هذا الفضل ويجب أن يبعده عن فمه إذا أراد التنفس ثم يعود إلى الشرب.

ومن هنا يتضح أن الضيافة العربية تولي أهمية كبيرة إلى آداب الأكل، والضيافة تعني لديها أسلوب للحياة والكرم وهي تعتبر من طرف المقيمين للوعدة كتوصية ربانية لكي يعامل المسافر بكل احترام وتقدير وفقا للحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت".

ومعاملة الضيف لا ترتكز على الاتفاقات وإنما على مبدىء ديني مقدس ينفذ بكل احترام وعن طواعية.

ومن آداب الضيافة أن يكون صاحب الضيافة واقفا أمام ضيوفه يخدمهم ويأتيهم مرة بعد أخرى بالمرق ويسكبه فوق الكسكسي حتى إذا انتهوا من الأكل وقف عند باب الخيمة وبيده إبريق يصب على أيدي الآكلين ماءا ليغتسلوا وعلى كتفيه منديل يمسح الأيدي([54]) وهذه العادات لازالت مسايرة لمختلف احتفالات الوعدات التي بالمحافظة عليها فإنما يحافظ الشعب على قيم الضيافة، الأخوة والتضامن بين مختلف أفراده.

يحظى رؤساء القبائل وشيخ ومقدمي الطريقة والإشراف بضيافة خاصة حيث تنصب لهم الخيام تليق بكرامتهم، وتقدم لهم أشهى الأطعمة المتمثلة غالبا في ما يسمى بالمصور ويتأتى ذلك عن طريق ذبح خروف وتنقيته وطلائه بالسمن ثم وضعه فوق نار بواسطة عمود

[54] الخوري بولس ، مرجع سابق ، نفس الصفحة

من الخشب ليطهى اللحم، وبعد ذلك يتم شواؤه عن طريق إدارته فوق جمر متقد([55]) ولا يقدم المشوي إلا في المناسبات الاستثنائية كقدوم ضيف عزيز أو كبير قوم. والناس في الغالب لا يذوقون اللحم إل حينما يذبحون لضيف أو لعرس أو لوفاة أو لإيفاء نذر وكثير ما يذبحون من الأنعام لطعامهم الخروف والماعز أما العجل والبقر فقليل ما يأكلونه([56]).

يلاحظ أن هناك نوع من التراتبية في احتفالات الوعدة ويعد انعكاسا للتراتبية داخل القبيلة والأسرة أو العائلة. حيث يتضح ذلك من خلال تقديم الطعام. فحينما يصبح الطعام جاهزا تأتي النساء بالأكل وتضعه أمام صاحب الخيمة ليأكل وحيدا. وتنتظر النساء والأطفال بفارغ الصبر الجملة العجيبة التي تصدر عن سيدهم وهي "تعالوا تأكلوا" بعد ذلك تؤخذ القصعة بعيدا عن رب العائلة حيث تجتمع النساء حولها مع الأطفال ويسرع كل واحد لأكل ما تبقى([57]) وحينما يكون هناك أبناء متزوجون يأكلون مع بعضهم البعض أما النساء فيأكلن دائما على حدة، فهن خادمات الخيمة وليس من المناسب أن تشتركن في طاولة السيد([58]).

وإذا كان هذا الوضع قديما، فإن الوضع الحالي لا يسد عنه كثيرا ولاسيما في المناطق التي حافظت على تقاليدها ولم يدخلها التجديد بصفة جذرية كالمنطقة الصحراوية حيث لا يسمح للنساء أثناء الوعدة بالتجول خارج الخيام وفي الأماكن التي تقام فيها الأسواق ويخصص لهن مكان معين للتفرج على ألعاب الفروسية.

---

[55] المرجع نفسه، ص20

[56] Le lieutenant-colonel Villot, ancien chef du Bureau arabe. « Mœurs, coutumes et institutions des indigènes de l'Algérie », 3éme édition, Librairie
JOURDAN 1888 p121 ADOLPHE

[57] لخوري سيور البولسي، مرجع سابق، ص22.

[58] Villot, opcit p123

إن الطعام السائد في مثل هذه المناسبات هو الكسكسي حيث يقدم إلى الوافدين على الوعدة بسخاء وكرم في أواني الحديد أو الفخار بعدما كانت قديما يقدم في قصاع أو أواني طينية وكان هذا مرتبطا بالظروف السائدة آنذاك حيث كانت الصناعة التقليدية مزدهرة وقد حلت محلها الصناعة الحديثة وبذلك حدث تغير في هذه الأواني.

أما إذا انتقلنا إلى الخيام فإننا نجد أنها كانت تصنع من شعر الماعز أو الإبل على شكل سقف تخاط ثم ترفع عن طريق أعمدة وتقسم إلى قسمين: قسم خاص بالرجال وقسم خاص بالنساء والأطفال وتتميز خيمة الضيوف بكبرها واتساعها ولونها المميز. ومع تقد الرفاهية لساكنيها. ولا يعني هذا أن الخيام القديمة قد اندثرت كليا بل أن هناك العديد منها لازال ينصب غير أنه قد حلت محل الشقق الحصر كثيرا ما يستعملها الفقراء لبناء خيامهم أثناء الوعدة.

وإذا كانت هذه التجديدات تمس بالجانب المادي من الثقافة فإن الجانب اللامادي بما يحتويه من طقوس قديمة لم يطرأ عليه تغير كبير. وقد احتفظ الأحفاد بهذه الطقوس لأن الاحتفالات بدونها تصبح مجرد احتفالات لا قيمة لها. وعلى العموم فإن الوعدة قد احتفظت بجوهرها ولم تمس التغيرات إلا الجانب الشكلي وهذا ما يستطيع أن يلاحظه المعايش لتظاهراتها من بدايتها إلى نهايتها. وسيدرك أن النظام الطقسي يشكل الأساس الذي تبنى عليه هذه الاحتفالات والتي تعكس النظام الذي يتقيد به منظموها حتى لا تكون عرضة لأي

خروج عن الإطار الذي رسمه لها الأقدمون والذي تتسم به العديد من الوعدات التي لم تعصف بها رياح التجديد.

لقد حاولنا الإشارة إلى مخلف الدوافع التي تؤدي بالأفراد إلى المشاركة المنتظمة لهم في احتفالات الوعدة وقد تختلف باختلاف الميول والمرغبات التي تنطوي عليها نفوسهم. فمن رام لتخفيف قلقه وحل مشاكله العويصة التي تتوج بالاستقرار النفسي إلى طلب مستمر للدوافع الاجتماعية والثقافية كما قد يلعب الجانب الاقتصادي والسياسي دورا كبير في هذه المشاركة التي تتوافق مع الوظائف العديدة التي تضمنها الوعدة في شتى المجالات الاقتصادية والتكافل الاجتماعي والمجال الثقافي والديني بحيث يصبح الرابط وثيقا بينها وبين الواقع التي أدت إليها. وهذا ما يشكل أحد الأسباب التي تضمن ديمومتها واستمرارها وبالتالي تحافظ على عاداتها وتقاليدها من أن تندثر أو تقل فاعليتها في الأوساط الشعبية ولعل هذا الأمر يفسر انتظام وقوعها باستمرار وتشبث العديد بإقامتها ولاسيما إذا تعلق الأفراد بالأوساط الريفية التي لازالت تكتسي عاداتها طابعا محافظا يساهم في تأمين إعادة إنتاج طقوسها واحتفالاتها بما يتوافق مع قيم المجتمع المحلي المتوازنة منذ أمد بعيد.

الفصل الثالث

تمهيد

سوف نتحدث في هذا الفصل بالخصوص عن وعدة الولي الصالح سيدي الشيخ ببلدية الأبيض سيدي الشيخ في ولاية البيض التي لا تختلف كثيرا عن باقي الوعدات في الجزائر وسنتحدث عن مجال دراستنا، ثم نبذة تاريخية عن الولي الصالح سيدي الشيخ، بعد ذلك نتحدث عن وعدة الركب "ركب الأبيض سيدي الشيخ"ومختلف المظاهر الاحتفالية فيها.

1. مجال الدراسة:

1.1 المجال الجغرافي:

أجريت هذه الدراسة حول وعدة سيدي الشيخ الواقعة ببلدية الابيض سيدي الشيخ ولاية البيض أين يوجد ضريح الولي الصالح سيدي الشيخ بوسط المدينة و قد حل هذا الولي بهذه المنطقة منذ أكثر من سبعة قرون وإلى جانب ضريحه يوجد العديد من الاضرحة لأولياء الله الصالحين كأحفاده وغيرهم . أما موقع بلدية الأبيض سيد الشيخ فيحدها شمالا بلدية اربوات وشرقا بلدية بريزينة أما جنوبا بلدية البنود وولاية ادرار غربا بلدية الشلالة وبوسمغون تبلغ مساحتها 33,082كلم$_2$ ذات طابع صحراوي ويقوم اقتصادها على الفلاحة وتربية الماشية وتفتقد إلى النسيج الصناعي القادر على استيعاب القادرين على العمل مما يشكل سببا أساسيا في انتشار البطالة بين شبابها، كما نجد التجارة وهذه التجارة مرتبطة بتربية المواشي وجلب التمور وبيع الصوف والمنتجات التقليدية.

فمدينة الأبيض سيدي الشيخ أهم وأقدم مدن الجنوب الغربي ،،، تاريخ وحضارة تأسست بعد وفاة الأب الروحي لأولاد سيدي الشيخ في بداية القرن العاشر، وهذا لا يعني أنها نشأت في هذا العهد فقط بل كانت قبل هذا تتوفر على مصلى وبئر أسسه سيدي سليمان بن بوسماحة حوالي منتصف القرن التاسع، بحيث أصبح كل من البئر والمصلى مقر لقاء تجار الجنوب وتجار الشمال للتبادل التجاري بين سكان أتوات وسكان مدن التل كتيارت التي كانت مشهورة بالفلاحة. كما بدأ بعض مواطني أتوات وغيرها من التمركز في السهل لممارسة الفلاحة، فنشأ أول قصر (قصر أولاد بودواية وأولاد سيد الحاج بن الشيخ) على الضفة الغربية من السهل.

وما أن مات سيدي الشيخ سنة 940 هـ 1616 م حتى أصبحت القصور تشيد على شكل حصون متوزعة على أربعة (القصر الغربي . قصر أولاد سيد الحاج بحوص . قصر الرحامنة وقصر أولاد سيد الحاج أحمد) وتمركز أولاد ومحبي ومجدوبي ومريدي الطريقة الشيخية بالأبيض سيدي الشيخ بها. ومن لم يستقر أصبح ملزما بالقدوم سنويا إلى الأبيض سيدي الشيخ لإقامة ركب سيدي الشيخ.

2.1 المجال البشري للعينة:

تعتبر عملية اختيار العينة من الأمور الصعبة التي يتلقاها الباحث بسبب صعوبة تمثيلها تمثيلا صادقا للمجتمع الأصلي ، إن العينة وسيلة لها أسسها المنطقية و مبرراتها الاحصائية للتغلب على صعوبة دراسة جمهور البحث كله دراسة شاملة و طالما أنه

من الصعب القيام بدراسة كل مفردات المجتمع الأصلي، يستطيع الباحث أن يكتفي بعدد محدود من مفردات التي تعتبر بديلا لطريقة الحصر الشامل . وبناءا على ذلك قمنا باختيار المبحوثين عن طريق " العينة العرضية " وقد قمنا باستجواب عشرة مبحوثين من أعيان المنطقة .

2. التعريف بالولي الصالح سيدي الشيخ :

سيدي الشيخ واحد من الوجوه الأكثر بروزا في الجنوب الغربي الجزائري على الصعيد الديني كما على الصعيد التاريخي، تسمية سيدي الشيخ التي عُرف واشتهر بها هي لقب يدل على علوّ مكانة مشيخته.

اسمه الحقيقي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة ،نشأ في نواحي " قصر أربوات " وهي عبارة عن واحة واقعة على الطريق المؤدي إلى البيّض في اتجاه الأبيض على بعد حوالي 23 كلم من هذه الأخيرة.

1.2 مولده:

بينما كانت أمه آتية من البدو حتى حصل لها المخاض في أربوات الفوقاني وبالضبط بدرا قرب المسجد العتيق – معلم تاريخي –وقد اتخذها أهل المنطقة كدار للضيوف – كما أنها تحتوي هذه الدار على وتد أصبح يستعمله أهل هذه المنطقة للتداوي به من كل داء. وحسب بعض ألأقاويل الشعبية المعروفة ، فإنّ أُمّه تسمّى شفيرية كانت ابنة الشريف سيدي علي بن سعيد أحد " أولياء " المنطقة، وقبره مشيّد في قبّة في" قصر الغاسول "، على بعد حوالي 35 كلم جنوب البيّض حاليا.

وعن تاريخ ميلاده ووفاته ومسقط رأسه يوجد شك كبير. إن المخطوطات التي يمتلكها أحفاده تعطينا معلومات ريبية وغير يقينية لا تمكّننا من الاستنتاج الصحيح .

زد على ذلك أنه لا يمكن التيقّن من الزمان والمسافات بين الولادات عند البدو الرحّل الذين تتميز حياتهم بالترحال المستمر دائما وراء القوت ، مجبرون بطبيعة حياتهم على العيش مع ماشيتهم متنقلين حسب الفصول أو حسب الظروف السياسية أو الاقتصادية على الهضاب أو بين السهول وغالبا حول عنصر الماء ، سواء أكان عينا أو بئرا . فالنقول الشفهية تخبرنا أن عائلته كانت تحط الرحال عادة في" منطقة الحمّام" ؛ غير بعيد عن القرية الصغيرة أربوات التحتاني بعض " الأوتاد" الطبيعية استعملت كمعالم لتحديد مكان خيمة أبيه عندما نشأ في تاريخ لم يُجمِع عليه مترجمو حياته . المخطوطات تصرح أن سيدي الشيخ توفي سنة 1025 هـ/ الموافق ل 1616 عن عمر يناهز 85 سنة هجرية و من ذلك نستنتج أنه

ولد سنة 940هـ/ 1533م.

2.2 نسبه:

إنه ينزل من سلالة أول خليفة في الإسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إلا أنّ سلسلة نسبه وجد فيها من وثيقة إلى أخرى بعض الاختلافات. أقرب وثيقة إلى الصواب وجد فيها بعض التعديلات باجتهاد من إمام زاوية سيدي الشيخ السابق العالم الراحل" محمد القاسمي" الذي اغْتِيل غدرا في البيّض من طرف مجرم مجهول سنة 1379هـ /1960 م . حسب هذه الوثيقة المخطوطة فإن سلسلة نسب سيدي الشيخ تكون كالآتي : الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن أبي يحيا بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن الثادي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن يزيد بن طفيل بن المضي بن ازراو بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

3.2 أسرته:

عائلته أقامت مند بداية القرن التاسع الهجري (14 الميلادي) في هذه المنطقة مترحلة بين العرب والبرابرة . وكانت تتمتع بشهرة وإطراء نظرا لانتسابها لأول خليفة في الإسلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه الصاحب الوفي والصديق الدائم للرسول صلى الله عليه وسلم، شهرة مضاعفة نظرا للدور الروحي الكبير الذي لعبه أجداده (آل أبي بكر) أو كما هو متعارف عليه (البوبكرية) في تونس والجزائر والمغرب.

4.2 نشأته:

نشأ في بيت علم وعلماء وشرف مشهود له فنمت فيه روح العلم والدين وحفظ القرآن الكريم الذي هو سراج يستنير به صاحبه ويهديه إلى الطريق المستقيم فتكونت شخصية سيدي الشيخ كرجل علم وعمل وتعبد وانقطاع عن الدنيا والزهد فيها والاعتكاف في الكهوف لقهر النفس وذلها إلى درجة التصوف وحب الوطن.

5.2 مشايخه:

اشتهر سيدي الشيخ بتوقد الذكاء، وحضور البديهة، وحدة الخاطر منذ طفولته، إذ بدا عليه منذ ذلك الحين ميل كبير نحو الدراسات الإسلامية ونبوغ خاص في علوم الشريعة، ولقي تشجيعات كبيرة في هذا الاتجاه من طرف عدة شيوخ محليين. وحفظ القرآن الكريم واستظهره صغيرا على يد والده الفقيه العلامة الولي الصالح سيدي محمد بن سليمان بن أبي سماحة وتتلمذ على الشيخ العلامة سيدي عبد الجبار من قصر الشلالة، وانتفع بجده العلامة العارف بالله الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، كما صحب والده إلى شيخه العلامة سيدي محمد بن عبد الجبار بفجيج، وهناك أخذ عن أخواله الشرفاء الوداغير حيث ولج زاوية بني العز السكونية النيرة، ونشأ بها طالب علم إلى أن تخرج منها على يد عميدها الفقيه العلامة الأديب الصوفي الشيخ سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر السكوني الودغيري في معقول العلم ومنقوله. ثم جال في عدة مناطق من صحراء المغرب الكبير آنذاك كعين ماضي وكورارة وتوات وسجلماسة، فأخذ عن الفقيه النحوي الأديب الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن

مشرف الراشدي، والعلامة الشيخ أبي القاسم ين محمد بن عبد الجبار، والإمام العلامة الأديب الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن بهلول فقيه ناحية زواوة ووليها وإمام وقته في العلم والصلاح، وكذلك عن الشيخ الفقيه المعروف بالبودخيلي وغيرهم، ثم رحل إلى فاس حاضرة المغرب العلمية فأخذ عن علمائها وخاصة النجم اللامع الشيخ سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي.

6.2 رحلاته في طلب العلم والتصوف :

بعد أن تضلع الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد رضي الله عنه في اللغة وآدابها، وأتقن علوم الشريعة برمتها، تشوق إلى علم التصوف، فخرج في طلب القطب ليجوب على نطاق أوسع أرجاء المغرب الكبير ويعمق دراسته الصوفية على يد عدة شيوخ بأشهر الزوايا في عصره، فأخذ أولا عن عمه الولي الصالح الشيخ أبي العباس سيدي التهامي المعروف ب(الحمياني)،ثم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى السملالي، والشيخ موسى بن حسن الكرزازي، وبتلمسان أخذ عن الشيخ العارف بالله الحاج بن عامر الشهير بالشريف التلمساني الملقب بالعبد الوادي دفين باب كشوط. وبعيدا من هناك أخذ عن الشيخ العارف بالله المحقق الحاج أبي القاسم الجراري، وبغرب المغرب أخذ عن الشيخ العارف بالله المحقق كذلك أبي الحسن علي بن إبراهيم المشهور ببسط تادلة من بلاد فشتالة.

ثم أشاروا عليه بوجود شيخ العصر وقطب الزمان بالمكان المعروف ب(قصر السهلي)على ضفة وادي كير وهو العارف بالله الشيخ القطب المربي الشهير أبو عبد الله سيدي محمد بن

عبد الرحمن السهلي الجرجري رضي الله عنه ومريد القطب الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني وأحد مذابيحه السبعة المشهورين ووارث سره. قال عنه صاحب (جواهر السماط): "الشيخ الولي الجليل النفاع الظاهر الحال القوي السلوك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن دفين بلاد السهل بكير.."، فأخذ عنه ولزمه بالطاعة والخدمة، وأبان عن صدق تام في محبته، وإخلاص كامل في العمل وفق توجيهاته، تجلى ذلك بجلاء في تفوقه على جميع أقرانه في كل الاختبارات التي اختبره بها طيلة مدة مكوثه معه. اتخذ رضي الله عنه الخلوة وتعبد بإذن من هذا الشيخ الفحل الجليل في كثير من الجهات، فكانت له في كل ربوة عالية خلوة، وفي كل واد من القفار متعبدة وبركة جارية سرا وعلانية، إذ تعبد على طول ضفتي الوادي الغربي ووادي الناموس، وعلى القمم في القسم الأوسط من جبال الأطلس الصحراوي كجبل كسال وبونكتة وعنتر...وفي جبال لمناطق أخرى قرب مقابر مهجورة وفي مغارات وكهوف تحت الأرض .

3. ظروف وتاريخ ظهور وعدة ركب سيدي الشيخ واصل التسمية :

إن المرحوم، سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة (940هـ/1025هـ) الذي يطلق عليه لقب (سيدي الشيخ) هو في حقيقته، عالم من علماء الصوفية وشخصية مجاهدة ، كان خلال حياته مرجعاً للراغبين في الاستزادة من ذات العلوم الدينية، لذا كان يؤمه الناس من كل ناحية، يطلبون حاجتهم من ذات العلوم مُخصصين لذلك وقتاً معلوماً سُمِّي في الأصل (الوَعد) ، يأتونه مُحمّلين بالهدايا وأصناف الأطعمة والأنعام (أغنام،

ماعز ...) ليزوِّد أبناءهم بالمعرفة النافعة.

هذه العادة، تحولت إلى عرف فيما بعد، إلى أن صار الجمع من الناس يلتقون هنا بمكان دفنه بالأبيض سيدي الشيخ، المسمى باسمه، لكن بعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى، استحالت المناسبة إلى ما يضاهي (الحج !!) إلى هذا الولي الصالح، حيث يأتي الناس رجال ونساء للتبرك به، ولازالت المناسبة السعيدة (الزواج مثلاً)، مرتبطة به، إذ أن الهودج أو السيارات المُقِلّة للعروس، لا تتجه رأساً إلى بيت الزوجية، إلا بعد القيام بعدة لَفّاتٍ حول الضريح .

لقد اكتسب هذا الولي (تبجيلاً خاصاً) و قصيدته الشعرية " الياقوت "، لازالت في متناول الأفواه و القراطيس، متواترة لدى العديد من مريديه، أما المناسبة السنوية، فتحول اسمها من (الوعدة) إلى تسمية ركب سيدي الشيخ" من الفعل ركب "، بعدما طُلِب من أهل " أستيتن ". قديما . الركوب على ظهور أنعامهم " الخيل والبِغال والحمير" ، التي كانت أحسن وسيلة زَمَنَ ذَاك لمواصلة السير في اتجاه الأبيض س/ الشيخ ، وقد تعوّدها الناس حسب بعض الآراء بمجرد وفاة هذا الشيخ الصوفي، علماً بأنها كانت في البدء فرصةً للتعارف بين القبائل وفض النزاعات والسعي إلى الصلح بين الناس، لكن مع مرور السنين وتطور العقليات أصبحت مناسبة تجارية عموماً ، بل داخلها في بعض السنوات حتى لعب المنافسات الكروية، والسهرات الفنية والاستمتاع بقصائد الشعر الملحون، في حين، لوحظت مظاهر حسنة كاستغلالها في معارض الكتب و قراءة القرآن الكريم.

4. تحضير وسير الوعدة:

تعتبر وعدة الركب بالأبيض سيدي الشيخ ولاية البيض كما يسميها عامة الناس في هذه المنطقة ملتقى شعبي موسمي ينعقد في فصل الصيف من كل سنة وتقوم الوعدة دائما في شهر اوت المعروف عند البدو الرحل ب"الصمايم "وتلتقى فيه كل القبائل المنتمية لهذا العرش و إلى الولي الصالح سيدى الشيخ، وتساهم كل العائلات الزاوية في إحضار طعام الوليمة الكبرى للضيوف ليل نهار طيلة هذه المدة الممتدة ليومين كاملين الخميس والجمعة وقد تمتد لأكثر من هذا بسبب الإقبال الكبير على هذه الوعدة، و بالإضافة الى العرش يشارك فى هذا الاحتفال باقي سكان الأبيض سيد الشيخ جميعهم بكل ما يملكون ويفتحون بيوتهم للزوار كما تساهم حتى المناطق المجاورة فى هذه التظاهرة لتخفيف الضغط

على البلدية بسبب العدد الهائل من الزوار الوافدين بالآلاف للمشاركة في هذا الموسم .

1.4 التحضيرات:

وكما ذكرنا فان التحضير للوعدة يبدئ من يوم السبت حيث تنصب العائلات خيمها في الساحة المخصصة لذلك أي في المكان المخصص لكل عرش أو دوار وتفرش وتحضر أواني الطبخ والأضحية وتدوم الوعدة غالبا ثلاثة أيام من يوم الإربعاء إلى يوم الجمعة بعد الصلاة ، ويطلق على الوعدة اسم المعروف، إذ يحمل هذا المصطلح نفس المعنى في المجتمعات المغاربية ولاسيما الجزائر والمغرب ، وتظهر بعض المصطلحات المرادفة له تستعمل من قبل السكان المحليين كالوعدة والزردة، ولذلك يمكن استخدامها في مكان بعضها

البعض على أساس أن هذه المفاهيم غير ثابتة وغير دقيقة ، وقد ساهم في بلورتها التراث بأبعاده الثلاثة :الدين الإسلامي، الموروث الشعبي والعقائد البربرية القديمة، لهذا يمكن القول بأن التظاهرة تشكلت من خلال الحركة التاريخية لمخيالين متمايزين :عربي وبربري في شكل يعكس العوامل التقليدية والبدعية في كل متجانس، ويبقي القاسم المشترك بين مختلف شعوب المغرب العربي في هذا المجال وجود الجد المشترك للقبيلة المؤسس الذي يعطي للاحتفال طابعه الخاص .وهذا الأمر يختص بالمجتمعات القبلية ويمكنها من عملية التلاحم بين أفرادها ويعيد إنتاج القبيلة على مستوى وعي الأفراد على الرغم من أن العديد من الأسباب أصبحت تعمل على تلاشيها كوحدة بفعل اضمحلال الظروف التي أنتجتها في الماضي تناقص أهمية الرابطة الدموية لصالح رابطة المصلحة بفعل الظروف الصعبة التي يواجهها المجتمع ككل ، لقد تم الحفاظ على الأعراف والعادات في المجتمعات التقليدية من خلال إعادة تثبيت العلاقات العميقة .بذلك أصبح هذا الطقس يحوي عادات وتقاليد ترجع في أصلها إلى سنين بعيدة، تقديم الطعام، الرقص، التسلية....الخ.

1.1.4 الزمن:

تقام في خلال فصل الصيف وهو فصل الذي يسبق فصل الزرع إذ تحاول استدرار الأمطار عند اشتداد الجفاف واستمرار القحط أو لرجاء الغلة في فصل الربيع أو لرفع البلاء والكوارث بصفة عامة ،وعلى العموم فإن هذه الوعدة تخضع للدورة السنوية وقلما تحيد عنها لأن الناس دأبوا على القيام باحتفالاتها في وقت معين من السنة وهو وقت ثابت، لا يبغون

عنها حولا ، ، وهي تدوم عرفيا ثلاثة أيام ابتداء من يوم الأربعاء لغاية يوم الجمعة، إلى أن التحضير لها يبدأ من يوم السبت.

2.1.4 المكان:

وهو مكان تواجد ضريح الولي الصالح سيدي الشيخ بوسط بلدية سيدي الشيخ و قد حل هذا الولي بهذه المنطقة منذ أكثر من سبعة قرون وإلى جانب ضريحه يوجد العديد من الأضرحة لأولياء الله الصالحين كأحفاده وغيرهم.

3.1.4 الفاعلون:

وحسب عدة باحثين في تاريخ المنطقة ، ، فإن الوعدة لم تعد تقتصر فقط على" عرش سيدي الشيخ"أو الزوى كما يسمونهم في المنطقة لوحدهم لكنها تتوسع تدريجيا لتشمل كل المنطقة بأكملها بدءا ببوسمغون والشلالة الظهرانية، والقبلية إلى البلديات المجاورة الأخرى القريبة والبعيدة، علما بأن الشلالة القبلية تخصص يوم الجمعة المقبل بعد الوعدة لما يسمى بمعروف سيدي لغريسي ويشارك فيه على غرار أهل المنطقة أحباب الطريقة التيجانية من عين ماضي وكل موردي هذه الطريقة.

4.1.4 الإعلان :

رغم أن موعد الوعدة ثابت إلا أنه يتم الإعلان عنها بعد الاجتماع الذي يعقده مشايخ أحفاد الولي الصالح القاطنين بالمنطقة ، ويحضر هذا الاجتماع أعيان القبيلة، يلتقون

جميعهم في جلسة واحدة بحيث يناقشون إجراءات وتحضيرات سير والاحتفال بالوعدة ويعتبر انتهاء الاجتماع المذكور رمزيا كيوم لبادية الإعلان والشروع في التحضيرات والذي يطول بزمن طويل عن تاريخ إجرائها، وعليه ينشر الخبر ويصل إلى أغلب الدواوير والمداشر، أما الأشخاص الذين ينشرون الخبر فهم أحفاد وخدام الولي الصالح المنتشرين في جميع أنحاء الوطن خاصة في الغرب ، بحيث ينتشرون الخبر في مختلف الأمكنة كما قد يعتمد على مختلف الوسائل لإذاعة الخبر، كالبراحين في الأسواق وفي القرى أسبوعا قبل بداية الوعدة، وبعض الجرائد التي تقوم بنشر الخبر ، في حين يتم الإعلام وتذكير و دعوة الأشخاص الذين يقطنون في أماكن بعيدة بوسائل الاتصال الحديثة كالهاتف والفاكس وغيرها.

5.1.4 الإعاشة :

ونقصد بها كل من الإطعام والمبيت، تتهيء العائلات بنصب الخيام الكبيرة والصغيرة في الساحة المخصصة لذلك ، توضع الأفرشة داخلها، كما تحضير أواني الطبخ والأضاحي إذ يحظى الضيوف بكل الاحترام والتبجيل تطبيقا لمبدأ كرم الضيافة الذي ينص عليه الدين الإسلامي وفقا للحديث الشريف المعروف من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وبذلك تعطي الأولوية في نصب الخيام لاستقبال الضيوف حيث تنصب على هيئة هلال بداية من الحد الأيمن إلى الحد الأيسر حسب المكان المخصص للتخييم :(أولاد سيدي محمد أولاد سيدي بن عيسى) البناعسة (أولاد سيدي بوبكر، أولاد سيدي بالشيخ) الشيوخات

(أولاد مقران) المقارنة – (أولاد بن عبد الله) العبادلة – (أولاد الحسين –أولاد سيدي لحسن – أولاد سيدي الماحي ،" بني عقبة "من قبيلة حميان، وكل شريحة من هذه الشرائح تخصص أربع خيام لاستقبال الضيوف) قيطون بالتعبير المحلي (أما الخيام اليدوية فتخصص لطهي الطعام من قبل النساء وتستعمل للمبيت ليلا لأفراد العائلة ، وتقدم الوجبات الأساسية طيلة أيام الوعدة الغذاء والعشاء وهي عبارة عن طبق الكسكسي واللحم، وهذا لجميع الوفدين والمقيمين على حد سواء دون تميز ،أما في الصباح فيقدم الحساء والخبز والشاي في طبق مصنوع من الحلفاء أما الشاي –المشروب الممتاز.

وفي كثير من الحالات تستخدم المنازل لتقديم الطعام والمبيت حيث يعتبر الضيف كأحد أفراد العائلة لا يسال عن هويته طيلة أيام الوعدة وهذا تماشيا مع العرف الشعبي الذي ينص على عدم سؤال الضيف إلا بعد ثلاثة أيام ويفد على هذا المكان البعيد والقريب يحملون بالتغذية فبعضهم جياع، إنهم يرغبون في ملء بطونهم، لذلك هذه مناسبة لا يمكن تكرارها فهي زردة لا ينبغي تفويت فرصتها[1].

5. برنامج الاحتفال:

يدوم الحفل كما ذكرنا سابق من يوم الأربعاء إلى الجمعة وتتجسد نشاطات الحفل على الأمكنة والمجالات السابقة وهي تمس ميادين مختلفة :اقتصادية واجتماعية وثقافية وتبدأ بتوافد العديد من الناس على الوعدة من مختلف الولايات والمناطق للتبرك بالولي

[1] J . DUVIGAUD , le don du rien essai d'anthropologie de la fete, ED, stock France, 1977, p149 et suite .

الصالح، أما الذين ينتمون إلى سيدي الشيخ أو من أعراض وقبائل أخرى أو من غرباء عن البلدية يأتون أفرادا وجماعات مما يعطي لهذا القصر أهمية بالغة في هذا الموسم حيث تزدحم الشوارع والأزقة بالسيارات من كل مناطق الوطن وبذلك أصبحت الوعدة تأخذ طابعا وطنيا بعد أن كانت تظاهرة جهوية. وعلى خلاف كثير من الوعدات فإن وعدة سيدي الشيخ تختلف عنها في أن الطبقات الاجتماعية تذوب حيث الأشراف على الوعدة يعني أن أبناء سيدي الشيخ دون استثناء .في حين أن كثيرا من الوعدات تخضع لأشراف الفئات الارستقراطية والأعيان والأغنياء ولا يحق للطبقات الفقيرة التدخل في شؤون التنظيم بل يعطى لها دور ثانوي .أما الاحتفاء بالضيوف في هذه الوعدة فلا يخضع للتمييز بين الفئات الاجتماعية وإنما تعامل كل الفئات على قدم المساواة وهي ميزة تختص بها هذه الوعدة دون الوعدات الأخرى حسب ما أعلم .وبذلك فلا نرى آثارا للتراتبية بل الكل يحظى بنفس الاهتمام والاحترام والتقدير، فكل يتناول طعاما واحد والكل ينام في خيمة واحدة دون أن يعطى الاهتمام لشخص على حساب شخص آخر، ولا يسأل عن هوية أي شخص بل يعامل الأشخاص كأنهم أفراد عائلة واحدة .

1.5 اليوم الأول و الثاني:

ونقصد هنا يوم الأربعاء والخميس: وفي هذا اليومين يتم القيام بعدة نشطات والألعاب وتتم هذه النشاطات في الجزء الشمالي المحاذي للقصر وتنقسم إلى الأمكنة كسائر الوعدات في الغرب الجزائري تنصب الخيام حسب شكل الهلال ويرمز هذا إلى الهلال القمري رمز

السنة الهجرية والعلم الجزائري وتتوزع الأنشطة الوعدة على الأمكنة والمجالات بتنظيم محكم يبرز تناسقها بحيث يتطابق كل نشاط مع مجاله الخاص :

1.1.5 النشاطات:

✓ **المداح:**

أما المدائح الدينية و التراتيل " الحضرة "فإنها تشهدُ أوجها حيث و أنت متنقل بين الخيام المختلفة للشرائح تجد الأصوات تتعالى بالتكبير و التهليل والأنغام الشجية للحضرة تكتسح الليل الهادئ في هذه الواحة الجذابة ،وتشكل الوعدة فرصة لكثير من المداحين القوال بالتعبير المحلي الذين ينتشرون في أرجائها، يبدأ المداح بذكر الأولياء الصالحين وخاصة سيدي عبد القادر الجيلاني ثم قصة من ألف ليلة وليلة أو جحا أو جازيه أو هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي وكل قصة تتخللها مقاطع شعرية أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ثم يقوم بدعوة الحاضرين إلى تقديم النقود، ويدعو لهم بالخير والسعادة والهناء[2]، وكثيرا ما يتخصص بعض المداحين في سرد قصص تاريخية أو دينية بينما يتخصص آخرون في ديوان الصالحين. ويجد كثير من الناس متعة في الإنصات إلى المداح لأنه كثيرا ما يعبر بصدق عن هموم وآمال وطموحات الفئات الشعبية.

[2] ACHILLE , ROBERT, jeux et divertissement des indigénes d'Algérie (région de Bordj-Bouarriridj) , R . A , N°62, Alger : OPU , 1986, p . 78.

✓ **التجارة:**

وتتركز التجارة في السويقة بالتعبير المحلي، بجانب الساحة المخصصة للملعب وتتألف من العديد من الخيام التي تتخذ كمتاجر لعرض السلع والبضائع الحديثة والتقليدية ففي الوسط تقع السوق المخصصة للرجال وهي سوق كبيرة تباع فيها مختلف البضائع التقليدية والحديثة يؤمها التجار والزبائن من مختلف أنحاء الوطن ، بحيث تنطلق القوافل للصحراء لجلب التمور التي تعد من المواد الأساسية في غذاء سكان المنطقة ، حيث تعد العدة تنطلق بعد وغالبا ما تقترن بفصلين من فصول السنة هما فصل الخريف وفصل الربيع كما يقام البعض الآخر في فصل الصيف وهما فصلي الزرع والدرس إذ تحاول استدرار الأمطار عند اشتداد الجفاف واستمرار القحط أو لرجاء الغلة في فصل الربيع أو لرفع البلاء والكوارث بصفة عامة وهي تتم بالقرب من أضرحة الأولياء الصالحين أو زاياهم من قبل الأحفاد والمريدين وعلى العموم فإن هذه الوعدات تخضع للدورة السنوية وقلما تحيد عنها لأن الناس دأبوا على القيام باحتفالاتها في أوقات معينة من السنة وهي أوقات ثابتة لا يبغون عنها حولا، أما الفواكه و الخضر التي تزدهر بها منطقة القصور فتنضجُ في الخريف كالتين

والرمان وبقية الخضر كالبصل الذي يشتهر بجودته و الجزر واللفت وغيرها من أنواع التي يحتاج الإنسان لها في الشتاء فالوعد موعدٌ للبيع و الشراء ، وقبل نهاية الخريف لا بد من تحضير الألبسة الصوفية كالبرنوس الأبيض و البني أو ما يسمى بالهدون أو السلهام – بالتعبير المحلي –أو الجلابة القشابية بتعبير سكان الشرق الجزائري التي يتم إنتاجها في

قصر الأبيض سيد الشيح أو القصور المُجاورة الشلالة وبوسمغون ومغرار وصفيصيفة إضافة إلى الأفرشة و الزرابي التي تُستعمل في شهر الشتاء القارس فيُنتظر الانتهاء من إنتاجها ، وتلاقي منتجاتها إقبالا كبيرا من قبل المستهلكين الذين تدعوهم مكبرات الصوت للتسوق عن طريق ترغيبهم في البضائع ، وتزداد ضجيج مكبرات الصوت للترغيب في البضائع إلي يرتفع حدة في هذا اليوم خوفاً من إرجاع البضاعة التي قد لا تجد من يشتريها فيما بعد،ونفس الأمر يمكن قوله بالنسبة للسوق النسوية التي تقع في أعلى الهضبة أين توجد النساء اللواتي يتفرجن ويشجعن الفرسان بالزغاريد وخلفها سوق النساء التي تباع فيها الحلي و أدوات الزينة و الألبسة ،ويلاحظ أن هناك حراسا متطوعين يسهرون على عدم الاختلاط بين الرجال والنساء.

2.1,5. العاب السحرية والطب التقليدي :

وهي حلقة أخرى تؤمها فرقة العيساوية وهي فرق تأتي من المغرب الأقصى أو من مناطق من الوطن تمتهن هذه الحرفة وتقوم ببيع الحروز والتمائم التي تقي من سم الثعابين والعقارب ، وينتمي هؤلاء إلى الطريقة الدينية العيساوية وهي فرع من الطريقة الكبيرة القادرية .الذين يشرحون كيفيات حدوث السحر ويمارسون خدعا بشكل بارع ، ويدعون القدرة على علاج السحر والتحكم في الجن وما شابه ذلك فيقمون بترويض الثعابين والمشي على الجمر، وادخال السيوف في بطونهم وفي خدودهم ومن الممارسات التي يقوم بها هي استخراج أشياء غريبة من جيوب الحاضرين، وصناعة الأوراق النقدية من أوراق عادية وهو

يستعمل خدع بصرية كما يستعين ببعض الجان والنوم فوق المسامير وكذا اللعب بلهيب النار إلى جانب ذلك يقومون بنزع السحر من الأشخاص المسحورين، واعطاء الأدوية والعقاقير لشفاء بعض الأمراض المستعصية وللإقلاع عن التدخين.

المطرق وألعاب المبارزة بالعصي وهي لعبة ذات طابع تنافسي ،تشبه المبارزة بالسيف إلا أنها أكثر سلمية وأمنا بحيث ، تقام هذه اللعبة وسط حلقة يأمها حشد من المتفرجين من الذين تستهويهم اللعبة بجانب الملعب الخاص بالفروسية، أما طقوسها فتبدأ بتعانق المتبارزين تعبيرا عن الأخوة من جهة وتعبيرا عن الالتزام بالمبادئ المتفق عليها، تقدم التحية وتكون بالانحناء ورفع العصا إلى الأعلى ثم وضعها على الأرض وتكون التحية الأولى للشيخ ، والتحية الثانية للمنافس، أما التحية الثالثة فتكون للجمهور في الجهات الأربع يمينا وشمالا وإلى الأمام والخلف، تشبه المبارزة بالسيف إلا أنها أكثر سلمية وأمنا منها بهذه اللعبة وأطلق اسم المطرق على العصا، تجمع هذه اللعبة متبارزين أو أكتر قد يكونون أربعة ،زوجين في كل جهة ، كما قد يتبارز المتنافسين بعصتين لإبراز القدرة على التحكم في تقنيات المبارزة [3].

القوم:

وهي لعبة عربية أصيلة، يستعرض من خلالها الفرسان مدى قدرتهم على التناسق والانسجام والانتظام في التسابق وفي إطلاق البارود ، بحيث يكون لكل مجموعة قائد الذي يتولى بدوره شؤون تنظيم مجموعته ، بحيث يبدأ القائد بإلقاء قصيدة من الشعر الملحون

[3] بووشمة معاشو، مرجع سابق، ص74.

بأعلى صوته ، مثل قصيدة ياعودي لشخم مانبيعك ما نشريك... ، ثم يعطي الإشارة بصوته للانطلاق، تنطلق المجموعة بسرعة متساوية بين الفرسان حتى منتصف الملعب تقريبا ثم يعطي القائد إشارة صوتية أخرى بأعلى صوته يحضر من خلالها الفرسان بندقياتهم البارودية مشيرين بها إلى الأعلى، ثم تستمر المجموعة في التسابق حتى نهاية الملعب بحيث يعطي القائد إشارة صوتية أخرى مؤذنا بها لإطلاق البارود، ويكون إطلاق البارود بشكل منسجم بصوت واحد مما يعطي للمنظر بهاءا وجمالا وسط المشجعين حول الملعب الذين يلعبون دور الحكم في الحكم على المجموعة الأكثر تناسقا وانتظاما ثم تأتي المجموعة التالية وهكذا دواليك إلى النهاية .

الرقص :

وبجانب هذه الساحة تقام حلقات الرقص التي تتكاثر ليلة الجمعة من قبل فرق مختلفة كرقصات "العلاوي" التي تؤديها فرق من الشباب يتحلق الكثير حولها للفرجة. وقد تكون هذه الفرق تنتمي إلى العرش كأولاد نهار، أولاد سيدي الشيخ...الخ التي تؤدي النهارية أو قد تكون تابعة لمناطق أخرى. وهناك فرق مختلفة كفرقة قناوة وتشكل هذه رقصات وغيرها من الرقصات مجالا حيويا لدى الشباب الذي يجد فيها متنفسا عن همومه وآلامه اليومية فالوتيرة والرقص يسمحان للجسم والروح بالتنفس الثقافي للذات، فهي تختلف من طرف الكثير من الشباب، كما يلقى الشعر الملحون نصيبه في الخيام ليلا وتنشد الأوراد في الليل و تخرق المدائح الدينية والأوراد هدوء وسكون المكان بحيث تسمح في خيام كل الشرائح التابعة

لسيدي أحمد الشيخ مع ترديد التهليل والتكبير إلى وقت متأخر من الليل إن لم تكن إلى الصبح، وفي هذه الأيام تفتح الزاوية نهارا لتقديم الزيارات وليلا لقراءة القرآن وإقامة الحضرة، إنهم يدخلون في هاته الوفرة الصوفية التوكل الذي يقربهم من التأمل في الواحد الأحد .فالمرابط أو الولي الوسيط هو أداة الوصول إلى هذا التوكل المجرد خارج اللقاء مع صورته الخيالية المفردة[4] .

2.6 اليوم الثالث:

وهو يوم الجمعة بحيث يميز هذا اليوم نشاط أخر إن صح القول أو طقس أخر وهو زيارة الولي، فإن العديد من الناس يتوافدون على الوعدة و من مختلف الولايات القريبة و البعيدة للتبرك بالولي الصالح إنهم يعرفون أن دعاؤهم غير مؤجل يتخيلون ذلك دون مقابل مما يؤدي إلى خرق الذات من خلال التوكل ، يتبرك الناس من خلال زيارة ضريح الولي سيدي الشيخ .

وقصد منع الاختلاط والفصل بين الرجال والنساء، فقد تقرر تخصيص الصبيحة للنساء والمساء للرجال وقد عين ابنا القرية الذين زودوا بالعصي لمراقبة تنفيذ هذا الأمر وهم يتولون مهمة الشرطة القروية، كما تكثر الزيارات إلى الزاوية والى سكن الولي الصالح والى أضرحة أبنائه في المقبرة العتيقة ، وفي أعلى الهضبة التي تشرف على القصر من الشمال وهذا يدل على سموه بالنسبة لكافة الأولياء كما يوجد في هذا المكان أضرحة الأبناء المباشرين لسيدي

[4] J. DUVIGAUD , IDEM, p . 67.

الشيخ في المقبرة العتيقة، يختتم الحفل في اليوم الأخير من الوعدة أي بعد صلاة الجمعة في ساحة الوعدة حيث يرفع علم الزاوية من قبل الشريحة المشرفة على الزاوية، وهذا الإشراف ينتقل من شريحة إلى أخرى بعد عدد من السنين ويمسك كل ممثل بشريحة من الشرائح بالعصا دلالة على الأخوة ثم تشكل دائرة من طرف الموجودين يتوسطها كبار السن واعيان القبيلة يتقدمهم إمام القرية أو مقدم الزاوية ليقوم بقراءة الفاتحة

والدعاء بالخير للعباد والبلاد داعيا الله أن يعيدها في ظروف حسنة ثم يفترق الجميع وهم متفقون على نفس الموعد في السنة المقبلة .

7. عرض ملخص المقابلات :

1.7 ملخص المقابلة الأولى:

وجرت المقابلة الأولى مع أحد أحفاد سيدي الشيخ أولاد بن عبد الله الزاوي "كما يسمونهم ودامت المقابلة ساعتين من الزمن .

إن القيام بالوعدة هو عمل متوارث ، ورثناه عن الأجداد بطبيعة الحال ، بمعنى أنه في أول الآمر تكون فعل متوارث لكن بعد ذلك تصبح قناعة لان ذلك الوقت مؤرخ له يجب التفرغ له فالإنسان قبل أن يولد هو مؤرخ لذلك الفعل وهناك عدة أسباب تجعلنا نحيى الوعدة فمن الأسباب اجتماعية ،فإن المجتمع الذي تعيش فيه يفرض عليك القيام بالوعدة ، مثلا عندما يقرب وقت الوعدة يبدأ الناس يسألون متى الوعدة ، هل تذهبون أم لا ؟، حتى

تجد نفسك ذاهبا إلى الوعدة و إطعام الناس ، يعني هذا العمل أصبح عادة ما أن يقرب موعد الوعدة حتى نجد أنفسنا قد حضرنا للقيام بها ، ومن الأسباب أيضا هو أمر في سبيل الله أن نطعم الطعام ونلتقي مع الأقارب الذي ربما لا تلتقي بهم مند مدة فتتاح لنا فرصة خلال تلك أربع أيام .التي نغتنمها لعلاج بعض الإشكاليات كقضية الزواج أو شروطه، فيما قد يعقد قران البعض منهم كما تنتهز فرصة في الوعد لصلح بين الزوجين أو الطلاق بينهما كما تتم مثلا دراسة مواضيع الصداق والمهور التي يجب إعادة النظر فيها ، وقضية جمع الأموال وتوزيعها على المساكين.

أما في ما يخص التغيرات التي طرأت على الوعدة، يمكن أن نقول أنها عرفت بعض التغيرات فمثلا أجدادنا كانوا يأتون بالإبل والحمير والبغال، وكما كان هدفهم اسمي ديني ثقافي اقتصادي، وكانت الناس تأتي من الصحراء تجلب التمور ومن التل تأتي بالحبوب، أما سكان القصور كانوا يعرضون منتجاتهم للبدو الذين يجلبون بدورهم السمن والكليلة والجبن إلا أنها لم تؤثر الحداثة والعصرنة في الوعدة تماما ما دامت الوعدة في شكلها العام باقية لأنه لا يختلف كثيرا فأصل كل الذين يقومون بالوعدة أصلهم بدوي وإن سكنوا المدينة لكن لم ينسوا أصلهم البدوي، فمادام هناك شيوخ وبداوة هناك الوعدة، لان فيها تكون مرتاحا بعيدا عن صخب المدينة .وعليه يمكن أن نقول فيما يخص تأثير الحضارة والحداثة، بان الحداثة ساعدت الوعدة بوسائل النقل والتصوير والتوثيق الكتابي والفطوغرافي، وعليه الوعدة مستمرة إلى الحد الآن الظروف التي تؤدي بك إلى العزوف على الوعدة غير متوفرة

خصوصا توفر الجانب الأمني والاستقرار حتى تكون هناك نوع من التفاخر بين الشباب للقيام بالوعدة، فالشاب يدخل في الجماعة بغض النظر عن السن ، فالشاب يصبح مسؤول داخل الجماعة ، يعني الإنسان لا يخسر الكثير للقيام بالوعدة ،ونحن متفائلون دائما ببقائها لأنه ارث توارثناه عن الأجداد لا يجب أن ينقطع رغم بروز بعض الطوائف التي تحرم الوعدة، الوعدة حتى في وقت الاستعمار لم تنقطع ، يعني لا ينبغي أن نكون السبب في انقطاع هذا الموروث الثقافي بغض النظر عن النقائص القليلة ، يعني أن نواكب الوعدة مع متطلبات العصر، فمادام هناك محرك للوعدة التي هي البداوة، فالوعدة لا تنقطع ومادام هناك قبر الولي الصالح الذي هو جدهم، هناك احتمال مستبعد لزوالها إلا إذا سكن كل البدو الحضر وتمدنوا بطريقة كلية ، حتى من الناحية الإدارية التنظيمية ، هناك مخطط من طرف الدولة يعطي للوعدة مكان جغرافي محدد معترف به، إذن نرى حتى السلطة تساهم في بقاء الوعدة، ونظرا لايجابياتها ومزاياها ترفيهية اجتماعية ودينية والاقتصادية وكل واحد حسب تطلعاته، خصوصا أصحاب البدو، لأنهم يشترون ما يلزمهم من الألبسة وافرشه سنوية لكل سكان البلدة ، تكون نعمة لهم إضافة إلى الفرجة عبر الفروسية و الفنتازيات إذن هناك تقسيم للأدوار بين القبائل في ما يخص إطعام الناس زيادتا عن الفرجة، والتمتع بالخيل والشعر الشعبي والعاب العصي فهي متنفس ترفيهي رغم المجهودات التي تبدل فيها إلى إننا نجد فيها متعة ، وفرصة تعارف بين الناس من كل ربوع الوطن، إلى انه هناك

بعض السلبيات وهي ليست كثيرة، تكون عادتا شخصية ومنحازة ليست عامة كتصرفات بعض الشباب، و المشادات الكلامية وبعض الحوادث لكن معظمهم من الغرباء.

2.7 ملخص المقابلة الثانية :

وجرت المقابلة الثانية مع مقدم الزاوية أي مشرف على زاوية سيدي التوهامي دام المقابلة 45 د، بدأت الوعدة من وفاة سيدي الشيخ ، الذي كان عالم وزاهد ، كان أبوه سيدي الذي كان بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة يدرس عند سيدي أحمد بن يوسف ، عندما كانوا يذهبون ليحوجوا ، كانت الشلالة وهي بلدية من ولاية البيض التي لا تبعد كثيرا على ضريح الولي سيدي الشيخ الذي هجم عليها الجيش الفرنسي فقتل أهلها وشردهم فدفنوا كل جثت الضحايا فأمره شيخه سيدي أحمد بوسماحة أن يبقى مع يتيمين كي يكفلهما ويطعمهم ويرعاهم ويعمل ليوفر قوت يومهم فأصبح قاضي المنطقة أي سيدي أحمد بوسماحة

يوم كبر أولاده تزوج بزوجة شريفة أي أصلها يعود إلى سلالة أهل البيت فأنجبت له سيدي الشيخ ، عند هجوم الصلبين على الأندلس ذهب العلماء ورجال الدين ليجاهدوا فترك سيدي أحمد بوسماحة سيدي الشيخ، وذهب ليجاهد في سبيل الله فعندما هزموا الغزاة استقرى سيدي احمد بوسماحة في فاس ...، سيدي الشيخ اعتزل الناس وزهد في حياته فوصل إلى درجة الصوفية كان يتعبد في بوغرارة، وهناك قصة وقعت لسيدي الشيخ لابأس أن نذركها وقعت له مع عبد الحق الطاغية الذي كان يغتصب العائلات ويأخذ أموالهم ، فاشتكى إلى سيدي الشيخ احد المظلومين ، فدعي عليه سيدي الشيخ من الشلالة في زاوية آبيه بوسماحة فمات

من فوره، وعندما مات سيدي الشيخ ترك ولدين وبنت ،هم سيدي التومي وسيدي سليمان فبدأ سيدي التومي يقيم الوعدة على أبيه سيدي الشيخ فأقام زاوية قرآنية وعندما مات سيدي التومي ورث سيد أحمد المقران الوعدة، تم أورثها إلى سيدي بولانوار الذي اطعم الرهط الذين جاو إليه ثم أورتها الى سيدي عبد القدر الذي ساهم في مقاومة الاستعمار كانوا يجتمعون يوم السبت الذي يلي الوعد وكان يجتمع من كل عرش مقدم الشرفة العمور الغياترة أولاد مبارك اولاد رحال بني عقبة كانوا يجتمعون ويصلحون بين المتخاصمين وبين الأزواج وكل قبيلة تأتي للزاوية بالمؤنة خرفان سمن.

3.7 ملخص المقابلة الثالثة:

وجرت المقابلة مع أحد أحفاد الولي الصالح سيدي الشيخ و دامت ساعة ونصف من الزمن:

تعتبر الوعدة من عادات المنطقة الذي ورثناها عن أجدادنا فقد كان أباؤنا يقومون بها وكانوا يجلبوننا معهم حتى نتمكنوا من معرفة أسرارها ،ومعرفة ما يجرى فيها فقد كنا نشارك فيها ونحن صغار، وخاصة في مجال التحضيرات والقيام بإبلاغ زعماء القبائل المقاديم لحضور الاجتماع وغيرها ،فكنا نركب البغال في طريقنا ، ونجهز الحطب معهم لإشعال النار، ونحضر لحلقات الرقص والألعاب، وحضور حلقات الشعر والمداح التي لازلنا نحفظ منها أبيات، فتلك الذكريات السعيدة للطفولة تجعلنا نواظب على القيام بها و استحضارها فكنا نعد كل ما استطعنا عليه ونحن الصغار وهذه السلوكيات تعودنا عليها مند الصغر ولا يمكننا الآن أن نسلم فيها فهي تقاليدنا التي تصنع الفرجة والترفيه، وموعد زيارة الضريح

سيدي الشيخ فموعدها راسخ في أذهاننا، فهي فعل اجتماعي تواصلي تضامني يتجسد في التعاون والتآخي والكرم والزيارة، إذن هي جملة من الأسباب التي تجعلنا نحي الوعدة ويخفونا على فعلها وإعادتها في السنوات المقبلة ، وفي حديثنا عن ايجابيات الوعدة يّذكر المبحوث بات الوعدة هب مباركة فرغم ما تتوفر عليه من مزايا، إلا أنها مباركة والأمر السري الذي يجعل الناس والزوار يأتون إليها من كل ربوع الوطن، فالعديد من الزوار يتبركون بأتربة الموجودة في الكهف الذي كان سيدي الشيخ يتعبد فيه والموجود خلف واد الشلالة، ويأخذونها معهم أحجارها كتذكار وبركة الوعدة، ومن جانب أخر هي متنفس سكان القصور وسكان عسله إضافة إلى ما توفره من الجانب السياحي والجانب الترفيهي إلى أن فيها الجانب التجاري الذي يتزود منه سكان المنطقة لفضل الشتاء نظرا لما توفره من جلاليب وبرانس وغيرها من الملابس والمؤن لاستعداد إلى فصل الشتاء القارس، كما يتم فيها عرض بعض المنتوجات التقليدية كالحلي التقليدية والأفرشة الصوفية فاغلب الناس ينتهزون الفرصة للتبضع والبيع والعرض، ومن ايجابياتها أيضا فهي تقرب بين الأحبة حيث تشهد الصلح بين المتخاصمين وتؤلف القلوب إلى بعضها البعض .وأما الحديث عن سلبياتها فهي قليلة وهي راجعة لدخول الغرباء وتشويه سمعة الوعدة بالأفعال الشعوذة والسحر وظهور بعض التجاوزات كالسرقة، والخصومات. وهذه هي أحدى العوامل التي اكسبتها طابع خاص .

4.7 ملخص المقابلة الرابعة:

تعتبر الوعدة شكل من أشكال العبادة والتدين، وقد ارتبطنا بها مند زمن بعيد، وطالما كرس أجدادنا على ضرورة إحيائها، ففي أول الأمر كانت غايتها نشر الدين الإسلامي ونشر أخلاق الإسلام والتدين، وأخذ القدوة والعبرة من الوالي الصالح سيدي الشيخ، إذن هي ممارسة دينية اجتماعية، يقوم بها سكان أهل المنطقة أحفاد سيدي الشيخ تساعدهم في حل مشاكلهم وحماية أنفسهم وإبعاد الضرر عنهم، والذي يكون عن طريق القيام بالمعروف الوعدة ومن أجل الاقتداء بالولي الصالح فقد حكي لنا أجدادنا بطولات وأسطورة الولي الصالح سيدي الشيخ وصفاته من صبر، وإيمان فهو يمثل القدوة، والتراث ، إذن مكانة الوعدة هنا في المنطقة عظيمة ولا سبيل للتخلي عنها فهي تمتل الدين والدنيا في كل أبعاده فطالما اشتهر وليها بالعلم والزهد والبركة والعلم لذا فهو يستحق الزيارة والصدقة والذبح والاقتداء به واجب، فكما حافظ أجدادنا وآباؤنا عليها يجب أن ننقلها إلى جيل اللاحق أيضا والتفكير في توقف الوعدة هو من الجنون والتطرف، أما الحديث عن الوعدة بين الماضي والحاضر يمكننا القول فرغم التحضر إلى أن الوعدة لم تفقد خصوصياتها ، فلا زالت على تقاليدها ومراسمها وبركتها ، فطالما الوعدة في سياقها وهدفها فهي على ما كانت عليه فقد ساعد التحضر الوعدة بفضل التطورات الاجتماعية ، لأن هناك تلفاز وجرائد ، وكتاب ومؤرخين و باحثون كما تفضلتم ، يمكنهم الاحتكاك بمشايخ وأحفاد الولي مما يمكنهم تاريخ ونشر أساطيره ، وكذا ترجمتها هذا التراث إلى لغات أخرى حتي يتمكن الكل من معرفتها

وبالتالي ترسيخها في أذهان الناس وزيادة الوعي القومي بها، فالجانب الإعلان عليها يسمح بقدوم الزوار والتعرف عليها، وبالتالي الاقتداء بالولي وصفاته وبطولاته والتي تكرس المحافظة واستمرارية التراث الشعبي. التي تعتبر من ايجابياتها ، فهي تعتبر ملتقى الأحبة وملتقى المتخاصمين لجمع شملهم، والإصلاح بين الأزواج وحفظ ذريتهم، وأيام للختان وجمع التبرعات وإعانة المحتاجين ،فهي فعل اجتماعي مبارك ، ورغم ذلك فهي لا تخلو من السلبيات ، لأن هناك خلط أدى إلى تشويه سمعة الوعدة وهو انتشار الشعوذة وبعض الطقوس البدعية، كعبادة الشياطين ونشر البدع التي لا صلة لها بالدين والتدين وصفات الولي الصالح، إضافة إلى عبادة الوالي والتقرب إلى الله عن طريقة الأضاحي والزيارة والتبرك ، فصحيح أن زيارة الولي بركة وشفاء للأرواح والأبدان.

5.7 ملخص المقابلة الخامسة :

الوعدة هي وعد توعد به أجدادنا بموسم الحصاد للبركة والصلاح والفلاح لأهل المنطقة ونتوعد به نحن أن نحافظ عليه ونلقنه لأبنائنا من خلال إحياء للذاكرة الأسطورية وهي السبب الواضح الذي يدفعنا للقيام بها، والحديث عن توقف الوعدة هو الحديث عن سلخ سكان المنطقة عن هويتهم فلا أحد يتصور توقف أو زوال الوعد فهي هوية الجماعة الموحدة، ومجرد التفكير في الأمر يسبب القلق لهم، لأنك سوف تترك فراغ روحي وفجوة كبيرة، وأن صح القول فنحن نتكلم عن تحول اجتماعي تفصل فيه سلوك الجماعة الطقسي الديني من محله، لأن هذه الممارسات هي معتقدات الجماعة الذين يقومون بتفريغ

انفعالاتهم، وشحناتهم السالبة من خلال المشاركة الجماعية، والتزود بالطاقة وبركة الولي الصالح، إذن هو اعتقاد راسخ مكرس للأيمان والعقيدة الدينية الشعبية ، ونظرا لما لها من ايجابيات نقول بأن الوعدة مستمرة وهي بسلام، ولا بأس عليها، والحديث عن تأثر الوعدة بالحداثة و العصرنة فهو من البديهي نظرا لأنها تعتمد على السلوك الفردي الإنساني المحض، وعندما يتأثر هذا الأخير بالحداثة تتأثر معه الجماعة إلا أنه لا يهدد تماسكها ودورها، بل يكسبها شكل أخر فقط غير الذي اعتاد عليه أجدادنا ،في القديم كان يستعمل أدوات بسيطة في النقل والطهي والدعوة، والتحضيرات أما الآن تستعمل الآلات والمعدات الحديثة من سيارات أجهزة تكبير الصوت، وتستعمل النقد، محل المقايضة وغيرها من تغيرات العصر وعليه يمكن أن نقول بأن الوعدة تواكب العصر الذي فيه فلا خطر عليها من ناحية ،استغناء الناس عليها نظرا لمحافظتها على غاياتها وأدوارها الاجتماعية كالصلح والتضامن الذي نلاحظه في تكامل الموجود ما بين الغني والفقير تكامل اجتماعي جمع التبرعات وتخصيصها لمصاريف الوعدة ولإعانة المحتاجين والتي هي من ايجابياتها ، وكذا تعتبر الوعدة ملجئ للتخفيف من الألم والأتعاب وإبعاد الكوارث وجلب السعادة والراحة النفسية، فكل غرضه منها، قد يجعل الضريح الولي سيدي الشيخ غاية له ومن الاحتفال وظيفة تنفسية ترفهيه إلى أن هناك من يرى فيها تجارة والأخر تبضع..... والحديث عن سلبيات الوعدة هو الحديث عن كل تجمع بشري أينما كان موطنه وأينما اختلف غايته

ككل في كل تجمع هناك بعض نزاعات ومشادات بين أفرادها وهو ما لا يخدم أحد غايات الوعدة.

6.7 ملخص المقابلة السادسة :

وجرت المقابلة مع أحد الزوار الذين قدموا إلى الوعدة بحيث يحضر للوعدة للمرة الرابعة على التوالي حيث اكد أن الوعدة هي طابع ديني اجتماعي عقائدي خاص ، فمنذ أن زارها لأول مرة يقول قد أصبحت لا أفوتها ، فبعدما تعرفت على خصال الحميدة للولي الصاح الشيخ

وعلى أخلاق أحفاده خدام الولي النبيلة وخصالهم اللذين أثبتوا ووفاءهم بعهد الأجدادهم ، فوعدة سيدي الركب ممارسة دينية عريقة فيها بركة على كل من يزور ضريح وليها المتواجد ببلدية الأبيض سيد الشيخ ، الذي يستنير بزائرها ويهديه إلى الطريق المستقيم ، فان ما يقترب موعدها الا وأن تزدحم شوارعها و أزقتها بالسيارات القادمة من كل مناطق الوطن ، فهي مقصد الزوار ترحابا بأقاربها، فأهلها يتسابق على فعل الخيرات وهو ما يعطي الوعدة طابع اجتماعي خاص وهنا نقصد بكل أفعال الإطعام والمبيت بحيث تتهئ العائلات بنصب الخيام الكبيرة والصغيرة في الساحة المخصصة لذلك ، توضع الأفرشة داخلها، كما تحضير أواني الطبخ والأضاحي ، إذ يحظى الضيوف بكل الاحترام والتبجيل تطبيقا لمبدأ كرم الضيافة ، فلا يخضع اكرام الضيف الى التمييز بين الفئات الاجتماعية وإنما تعامل كل الفئات على قدم المساواة، فهذه المبادئ مأخوذة من الفكر التصوفي العقائدي . وفي

حديتنا عن إيجابيات الوعدة يذكر الزائر بأن الوعد كلها ايجابيات ، فيكفيك الشعور بالسعادة والهناء داخل نظام تكسوه روح الجماعة فهم يسدين خدمات أخرى كالإصلاح بين الأعراش إن وجدت خلافات وتوزيع الصدقات على المحتاجين وغيرها من العادات التي رسخت في المنطقة منذ بداية اقامة هذه الوعدة وعليه نقول أن الوعدة رغم التحولات الاجتماعية الطارئة واستقلالية والفردانية الموجودة في هذا العصر التي تأثرت بها معظم المدن ، فلا خوف عليها لأنها لم تفقد

عناصرها، ولازالت محافظة على هويتها من خلال تمسك افرادها بمقدسها وببعضهم البعض فهي متماسكة ومستمرة للأجيال القادمة .

7.7 ملخص المقابلة السابعة:

وجرت المقابلة مع أحد أحفاد سيدي الشيخ سيدي مولاي عبد الحي ودامت ساعتين:

أن من أسباب قيامنا بالوعدة هي أسباب قبلية، فطبيعة المجتمع هنا تحفيزي ، فلا يمكن لأحد أن لا يتواجد في الوعدة لأنه يعتبر من العيب ، فطبيعة المميزة للبناء القبلي هنا تجعلك حاضر في الوعد بدون ما تشعر فالمساندة والمساعدة الجماعة لبعضها البعض تعتبر كحماية وطمأنينة ودعامة للفرد المنتمي الى هذه المنطقة والقبائل والأعراش ، فالوعدة هي معاد لا يجب

التخلف عنه فالوعدة هي عرف ومعروف يحتم علينا ضرورة اتباع اجدادنا فمثلا لا يمكن لشخص شاب بالغ من أهل العرش أن لا يظهر في الوعدة فهي بمثابته عار عليه فإن وجده أصحاب القبيلة في المدينة يحتقرونه لذا يجب عليه أن يظهر في الوعدة بجانب عرشه وبالقرب من خيمته" قيطونه " اذا في الوعد قانون عرفي أخلاقي يضبط أفراد العرش وأحفاد سيدي الشيخ أما الذاهب الى الوعدة يمكنه التجول في كل الخيام وكأنه في منزله يذهب تم يرجع ، ويمكنه حتى أن تنصب خيمته فلا احد يقول له ماذا تفعلون ، بل على العكس يقومن بمساعدتهم حتى وأن كان ليس من احفاد سيدي الشيخ اومن إحدى اعراشنا ، ومسالة القيام الاخرون بالوعدة هي مسالة قناعات فالكل غايته دينية خلقية محضي في سبيل الله ، فالوعدة اذن فرصة للخير فهي اذن كلها ايجابيات فتطرح كل سنة قضايا دنياوية جديدة ، تتم معالجتها تختلف من سنة الى أخرى على حسب حالة والأوضاع الاجتماعية وتغير الظروف لاجتماعية وحتى السياسية ،وعن استمراريتها فان كل الظروف هنا تساند الوعد فحتي السلطات تقوم وتساعد على قيامها ومن أهمها الاستقرار الأمني و...غيرها من الأسباب.

8.7 ملخص المقابلة الثامنة:

وجرت المقابلة مع أحفاد الولي سيدي الشيخ سيدي لحسن في اليوم الأول للوعدة ودامت المقابلة حوالي ساعة من الزمن.

تختلف أسباب القيام بالوعدة من شخص الى أخر فلكل غايته وحاجاته فقد يأتي اليها الناس من أجل الترفيه والفرجة و الاستمتاع بالخيل والترويح على النفس من الضغوطات الحياة، وقد يأتي اليها أخرون من أجل قضاء حوائجهم الدنيوية لعلمهم باستجابة دعائهم ،وقد تتعدد الأسباب لدى أخرون فمنهم من يأتي اليها لقضاء حاجة دنياوية لعلمهم باستجابة دعاءهم ،كحل مشكلات الحياة ،والشفاء من الأمراض والعقم ،نظرا لقدرات الخارقة لصاحب الضريح ، وتخفيف المظالم، وإبعاد البلاء، ويجد اخرون غايات أخرى كالتجارة والسياحة ،فلكل غايته ، أما أحفاد وسكان أهل المنطقة فيجدون فيها التقليد القديم ،لعبادة عن طريق الوسيط الذي هو وليهم ،فهي أيام للاستحضار الماضي و استذكار واحياء لعبادة الأجداد ، ومنهم من يرى في الزيارة

والشفاعة عن طريق الوسيط ،من خلال تقديم الطعام ،والصدقات والتبرعات اخلاصا لوليهم ، أما في ما يخص استمرارية الوعدة فيكاد الناس لا يستطيعون أن يعزلوا تفكيرهم عن تلك العقائد ،فالوعدة مستمرة ولا يمكن ان تنقطع ،فقداستها وقيمتها عند الأفراد هي من يتحكم في استقرارها واستمرارها ، أما ايجابياتها فهي محضة فبركة الله تعالى تنتقل عبر الولي تم الى احفاده مما يستطيع الناس التماسها والتبرك بها ، وهي تعطى وتقدم من الأب الى الابن " **الحكمة** " فالأب يورثها لابنه وهكذا.... ومن سلبيات الوعدة ، فإنها قد بدأت تشيع بعض المفاهيم الخاطئة كالشعوذة والعياذ بالله ، فأحفاد الولي لهم بركة الخير وليس لفعل غايات

أخرى ..... والتي قد تخرجها عن وظيفتها الأساسية التي هي فعل ونشر الخير و بالتلي قد تخرج عن منحاها وهدفها مع مرور الوقت.

9.7 ملخص المقابلة التاسعة:

وجرت المقابلة مع أحد سكان لقصور وهنا نقصد مجموعة من المباني الموجودة بمدينة الأبيض سيدي الشيخ ودامت المقابلة ساعة من الزمن حيث استضافنا الحالة في خيمته (المتجر).

تعتبر الوعدة من أحد الأوقات التي يتم فيها القيام بها جمع غفير من الناس سواء كانوا من السكان الأصليين للمنطقة أو من الزوار والسياح موعد للقيام ببعض البقايا السلوكية التي تركها لنا أباؤنا والموروثة من أجدادنا بطبيعة الحال ،فهي موعد للتسامح والتعارف والتناسب وجمع الشمل والتزاوج والاحتفال وصنع الفرجة والمتعة للناس، فبقدر ما هي رسالة إليهم للصلاح و النجاة في الدارين، فهي فرصة للنجاة والاعتراف بالخطأ والتطهر، فروح سيدي الشيخ روح سامية صالحة ترفع الضرر والبلاء، فطالما احتمى أجدادنا وراء الضريح ضد كل التهديدات التي عاشها أجدادنا كالكوارث والأزمات الفقر، والحروب فضريح سيدي الشيخ أثبت امتلاكه للبركة والقدرات الخارقة، والتي هي من أحد ايجابيات التي تمتلك المنطقة والوعدة تمثل الجانب الإشهاري لبركة هذا الضريح ، فطالما ساهمت الوعدة في تأطير المقاومات ضد الاستعمار، أما سلبياتها فهي غير موجودة فالوعدة كلها خير على البلاد والعباد وتجلب الطمأنينة والسعادة وترفع الضرر والبلاء، ومسالة استمرارها

تكمن في قداستها ودرجة قناعة الناس بأساطيرها التي انتقلت من جيل إلى أخر وما يمكن أن نقوله في استمرارية الوعدة، لطالما أن بركة الضريح سيدي الشيخ موجودة وطالما سكان القصور الستة **بتعدد قبائلهم** وهم (قصر الشلالة ، وقصر اربوات الفوقاني والتحتاني وقصر بوسمغون وقصر مغرار وقصر عسلة) مازالوا متماسكون لا يوجد ما يترك المجال للقول في اندثارها يوما.

10.7 ملخص المقابلة العاشرة :

جرت المقابلة مع حفيد الولي سيدي الشيخ بن عيسى ، ودامت المقابلة حوالي ساعة ونصف وكانت في اليوم الثاني من الوعدة.

لا يختلف سبب قيامنا بالوعدة عن السبب قيام أجدادنا في ما سبق، فالوعدة أو المعروف قديما وموعد اللقاء أحفاد سيدي الشيخ كموعد ينطلق بعده عملية الحرث، بحيث يهم الناس لمساعدة بعضهم البعض نظرا لضعف الإمكانيات أنذلك، كما كان ومازال يشكل موعد لشراء والبيع وخاصة الخضر والفواكه والتي تنتجها سكان لقصور، وغيرها من مواد التي يحتاج إليها الناس في فصل الشتاء، وأسبابنا هي نفسها فلم تتغير كثيرا، وبالإضافة إلى ذلك تشكل موعد لالتقاء الأحفاد والأفراد بعد طول لقاء فهي مكان وموعد لا مثيل له لتوطيد العلاقات ، واعدة تثبيته، وهي من الايجابيات الأخلاقية والاجتماعية لها بحيث تجمع الشمل، الذي يعد من العناصر التي تساهم كثيرا في استمراريتها وصمودها فقد صمدت ضد الاستعمار وساهمت في حفظ الدين ونشره إذن لا سبيل إلى القول بأن الوعدة لا تستمر

طالما هي كلها ايجابيات فهي رمز مقدس عند أهلها وأصحابها ولا أحد يتصور نفسه بعيد عن الوعد أو من دونها فهي تمثل الشهامة والرجولة وإن قلت لي لا تتوعد، كأنك قلت لي "**احلق شاربك**" ، وهو بمثابة الخروج عن القانون العرفي المتعارف عليه وخروج عن " **لعوايد**" ، لا يمكننا أن نتصور خريف بدون وعدة، ففصل الخريف تزينه الوعدة فإذا وصل الخريف وصلت معه الوعدة فنجد بعض الأقاويل التي يكررها سكان المنطقة حيث يقولون عن بعض الأيام التي يكون فيها الطقس معتدل نوعا ما" بأنه وقت الوعدة " إذن الوعدة تعبر عن مشاعر وأحاسيس الناس وأحلام وأمال جماهيرها، فهي عادة موروثة تحي بها الذاكرة الشعبية عن طريق إحياء طقوسها المتمثلة في الالعاب الخيل والمطرق فهي فرجة للزائر ومتعة للاعب، والمداح والقوال وأيام للصدقات والبركات والخيرات لهم. والقول عن توقفها هو الخروج عن الملة وعن الأجداد وانقطاع عن الخير وانتظار العبوس في الذرية. أما الحديث عن الوعدة بين القديم والحديث والتحضر فالوعدة تحلت ببعض الإمكانيات التي هي من نتاج التطور فنلاحظ المراكب في موضع الحيوانات والألبسة المصنوعة في المصانع كجلاليب والبرانس وأواني الفخار الصناعي، إلى أنها لم تسئ لها ففي المقابل مازالت المستلزمات والألبسة التقليدية تشتهر بجودتها فلها طابع خاص يزيدها قيمة ولأهلها الذين يتصفون بالجود والكرم.

. عرض النتائج :

1.8 الوعدة استقرار وطمأنينة :

أجمع أغلب المبحوثين أن الوعدة تعد الملجئ الملاذ الروحي النفسي المحقق للاستقرار والطمأنينة فالوعدة:

– مباركة وهو الأمر السري الذي يجعل الناس والزوار يأتون اليها من كل ربوع الوطن فالعديد من الزوار يتبركون بأتربة الموجودة في الكهف الذي كان سيدي الشيخ يتعبد فيه. تساعدهم في حل مشاكلهم وحماية أنفسهم وابعاد الضر عنهم، والذي يكون عن طريق القيام بالمعروف .

– فهي موعد للتسامح والتعارف والتناسب وجمع الشمل والتزاوج والاحتفال وصنع الفرجة والمتعة للناس فبقدر ماهي رسالة إليهم للصلاح و النجاة في الدارين، فهي فرصة للنجاة والاعتراف بالخطأ والتطهير ، لعلاج بعض الإشكاليات كقضية الزواج أو شروطه، فيما قد يعقد قران البعض منهم كما تنتهز فرصة في الوعد لصلح بين الزوجين أو الطلاق بينهما كما تتم مثلا دراسة مواضيع الصداق والمهور التي يجب إعادة النضر فيها، وقضية جمع الأموال وتوزيعها على المساكين.

– يأتي إليها الناس من أجل الترفيه والفرجة و الاستمتاع بالخيل والترويح على النفس من ضغوطات الحياة، وقد يأتي إليها آخرون من أجل قضاء حوائجهم الدنيوية لعلمهم باستجابة دعائهم ، هي ممارسة دينية عريقة فيها بركة على كل من يزور ضريح وليها، فالوعدة إذن

فرصة للخير فهي إذن كلها ايجابيات فتطرح كل سنة قضايا دنيوية جديدة، تتم معالجتها تختلف من سنة إلى أخرى على حسب حالة والأوضاع الاجتماعية وتغير الظروف الاجتماعية وحتى السياسية.

– فالوعدة كلها خير على البلاد والعباد وتجلب الطمأنينة والسعادة وترفع الضرر والبلاء، كما كان ومازال يشكل موعد لشراء والبيع وخاصة الخضر والفواكه والتي تنتجها سكان لقصور.

2.8– تعد مؤسسة القبيلة المتغير الأساسي في الحفاظ على ظاهرة الوعدة.

– القيام بالوعدة هو عمل متوارث، ورثناه عن الأجداد بطبيعة الحال، بمعنى أنه في أول الآمر تكون فعل متوارث لكن بعد ذلك تصبح قناعة لان ذلك الوقت مؤرخ له يجب التفرغ له فالإنسان قبل أن يولد هو مؤرخ لذلك الفعل وهناك عدة أسباب تجعلنا نحيى الوعدة فمن الأسباب اجتماعية فإن المجتمع الذي تعيش فيه يفرض عليك القيام بالوعدة.

– الوعدة من عادات المنطقة الذي توارثناها عن أجدادنا – فتلك الذكريات السعيدة للطفولة تجعلنا نقوم نواظب على القيام بها استحضارها.

– الوعدة شكل من أشكال العبادة والتدين، أن الوعدة هي طابع ديني اجتماعي عقائدي خاص وقد ارتبطوا بها مند زمن بعيد ، وطالما كرس أجدادهم ضرورة إحيائها، ففي أول الأمر كانت غايتها نشر الدين الإسلامي ونشر أخلاق الإسلام والتدين، وأخذ القدوة والعبرة من الوالي الصالح سيدي الشيخ، إذن هي ممارسة دينية اجتماعية ، يقوم بها سكان أهل

المنطقة أحفاد سيدي الشيخ، – سكان أهل المنطقة فيجدون فيها التقليد القديم، لعبادة عن طريق الوسيط الذي هو وليهم، فهي أيام للاستحضار الماضي واستذكار وإحياء لعبادة الأجداد، ومنهم من يرى في الزيارة والشفاعة عن طريق الوسيط، من خلال تقديم الطعام والصدقات والتبرعات إخلاصا لوليهم، أما في ما يخص استمرارية الوعدة فيكاد الناس لا يستطيعون أن يعزلوا تفكيرهم عن تللك العقائد ،فالوعدة مستمرة ولا يمكن أن تنقطع ،فقداستها وقيمتها عند الأفراد هي من يتحكم في استقرارها واستمرارها.

– ضرورة أخلاقية المعروف يحتم علينا ضرورة إتباع أجدادنا فمثلا لا يمكن لشخص شاب بالغ من أهل العرش أن لا يظهر في الوعدة فهي بمثابته كعار عليه فإن وجده أصحاب القبيلة في المدينة يحتقرونه لذا يجب عليه أن يظهر في الوعدة بجانب عرشه وبالقرب من خيمته "قيطونه " إذا في الوعد قانون عرفي أخلاقي يضبط أفراد العرش وأحفاد سيدي الشيخ.

– جانب استقرار الجماعة فطالما احتمى أجدادنا وراء الضريح وضد كل التهديدات التي عاشها أجدادنا كالكوارث والأزمات الفقر، والحروب فضريح سيدي الشيخ أثبت امتلاكه للبركة والقدرات الخارقة .

3.8–دافع الرغبة في التلاحم الاجتماعي:

بين فرق العرش ومقاومة التشتت الذي تعرض لهذا الأخير هي من أساسيات انعقاد واستمرارية هذه الظاهرة.

- البداوة من أحد أسباب الذي حافظت على الوعدة، فمادام هناك شيوخ وبداوة هناك الوعدة لان فيها مرتاحا بعيدا عن صخب المدينة وعليه يمكن أن نقول فيما يخص تأثير الحضارة والحداثة، بان لحداثة ساعدت الوعدة بوسائل النقل والتصوير والتوثيق الكتابي والفوتوغرافي وعليه الوعدة مستمرة إلى الحد الآن الظروف التي تؤدي بك إلى العزوف على الوعدة غير متوفرة.

- تقرب بين الأحبة حيث تشهد الصلح بين المتخاصمين وتؤلف القلوب والى بعضها البعض.

فهي تعتبر ملتقى الأحبة، وملتقى المتخاصمين لجمع شملهم، والإصلاح بين الأزواج وحفظ ذريتهم ،وأيام للختان ، وجمع التبرعات وإعانة المحتاجين ،فهي فعل اجتماعي مبارك

الحديث عن توقف الوعد هو الحديث عن سلخ سكان المنطقة عن هويتهم فلا أحد يتصور توقف أو زوال الوعد فهي هوية الجماعة الموحدة ، ومجرد التفكير في الأمر يسبب القلق لهم لأنك سوف تترك فراغ روحي وفجوة كبيرة ، وأن صح القول فنحن نتكلم عن تحول اجتماعي تفصل فيه سلوك الجماعة الطقسي الديني من محله.

فطبيعة المميزة للبناء القبلي هنا تجعلك حاضر في الوعد بدون ما تشعر فالمساندة والمساعدة الجماعة لبعضها البعض تعتبر كحماية وطمأنينة ودعامة للفرد المنتمي إلى هذه المنطقة والقبائل والأعراش .

4.8- الوعدة اليوم هي طقس يراد من خلالها محاربة أشكال التفكك الاجتماعي و الثقافي الحاصل في مجتمعنا الحالي .

- هناك مخطط من طرف السلطات المحلية يعطي للوعدة مكان جغرافي محدد معترف به إذن نرى حتى السلطة تساهم في بقاء الوعدة القومية تدعيم السلطة المحلية للوعدة بتسخير كامل إمكانياتها من المادية والبشرة ذلك لخدمة مصالحها و الحفظ على المناصب و ذلك من خلال مساعدة أعيان المنطقة على إقامة ظاهرة الوعدة بشرط مباركة السلطة الحاكمة.

فهي كداعمة استقرار الأمن القومي في المنطقة من جهة أخرى ضد أي عدوا، فاذا براك شيوخها مسؤولا نصبوه، واذا أداروا الدهر إليه غيروه وازاحوه من منصبه لذا الدولة تسعى الى كسب نوات هذه القومية .

- فهي فعل اجتماعي تواصلي تضامني يتجسد في التعاون والتآخي والكرم والزيارة، أذن هي جملة من الأسباب التي تجعلنا نحي الوعدة ويخفونا على فعلها وإعادتها في السنوات المقبلة.

- فكما حافظ أجدادنا وآباؤنا عليها يجب أن ننقلها الى جيل اللاحق أيضا والتفكير في توقف الوعدة هو من الجنون والتطرف والتفكك.

-طالما الوعدة لها غايات وأدوار غاياتها وأدوارها الاجتماعية كالصلح والتضامن الذي نلاحظه في تكامل الموجود ما بين الغني والفقير ، تكامل اجتماعي) جمع التبرعات وتخصيصها لمصاريف الوعدة ولإعانة المحتاجين والتي هي من ايجابياتها، وكذا تعتبر

الوعدة ملجئ للتخفيف من الألم والأتعاب وإبعاد الكوارث وجلب السعادة والراحة النفسية، فكل غرضه منها)

– يحظى الضيوف بكل الاحترام والتبجيل تطبيقا لمبدأ كرم الضيافة، فلا يخضع الإكرام الضيف إلى للتمييز بين الفئات الاجتماعية وإنما تعامل كل الفئات على قدم المساواة، فهذه المبادئ مأخوذة من الفكر التصوفي العقائدي.

– المساندة والمساعدة الجماعة لبعضها البعض تعتبر كحماية وطمأنينة ودعامة للفرد المنتمي إلى هذه المنطقة والقبائل والأعراش .

9- مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات :

1.9 الفرضية العامة:

في ما يخص الفرضية العامة التي تنص على أن الرغبة في التلاحم الاجتماعي بين فرق العرش و مقاومة التشتت الذي تعرض لهذا الأخير هي من جعل الوعدة تشكل أداة للرابطة القبلية فقد تحققت.

إذ تعتبر البداوة من أحد أسباب استمرار الوعدة، والحداثة ساعدت الوعدة بوسائل المتطورة في استمرارها مثل النقل والتصوير والتوثيق الكتابي والفوتوغرافية، وعليه الوعدة مستمرة إلى الحد الآن الظروف التي تؤدي للعزوف على الوعدة غير متوفرة طالما هي تساهم في التلاحم الاجتماعي الذي يشعر به أفرادها عن طريق المساندة والمساعدة الجماعة لبعضها

البعض فهي حماية وطمأنينة ودعامة للفرد المنتمي إلى هذه المنطقة والقبائل والأعراش الذي يمتد جذوره من العقيدة بالوعدة التي تأطر الدين الصحيح.

2.9الفرضية الثانية:

في ما يخص الفرضية الثانية التي تنص على أن مؤسسة القبيلة هي المتغير الأساسي في الحفاظ على ظاهرة الوعدة فقد تحققت فطبيعة القومية أحفاد وعدة سيدي الشيخ يجدون فيها العمل المتوارث، الذي ورثوه عن الأجداد عن قناعة دينية محضة فالوعدة شكل من أشكال العبادة والتدين الذي تعودوا عليها سكان أهل المنطقة ،يستحضرون من خلالها الذكريات الطفولية السعيدة إضافة إلى طبيعة القومية للمجتمع هناك يفرض قوانين أخلاقية على أفرادها للقيام بالوعدة ،فالوعدة من عادات المنطقة الذي توارثوها عن أجدادهم فتلك الذكريات السعيدة للطفولة تجعلهم يواظبون على القيام بها إخلاصا لوليهم المقدس وهو سبب استمرارها .

3.9 الفرضية الثالثة :

في ما يخص الفرضية الثالثة التي تنص على أن الوعدة اليوم هي طقس يراد من خلالها محاربة أشكال التفكك الاجتماعي و الثقافي الحاصل في مجتمعنا الحالي، فهي الفرضية الأخرى تحققت فالسلطات المحلية مثلا تدعم و تضع مخطط وبرنامج للسهر على إعطاء وجه محفز معترف به فهي تحاول كسب البنية القومية القبلية، بتسخير كامل إمكانياتها المادية والبشرة لأغراض تخدم مصالحها ككسب الدعم السياسي والمحافظة

على استقراره ويكون ذلك مساعدة أعيان المنطقة على إقامة ظاهرة الوعدة بشرط مباركة السلطة الحاكمة، وهي كداعمة استقرار الأمن القومي الداخلي والخارجي في المنطقة ،فطالما تصدت إلى الاستعمار وغزاة من قبل، فإذا براك شيوخها مسؤولا نصبوه، واذا أداروا الدهر إليه غيروه وازاحوه من منصبه لذا السلطات المحلية تسعى الى كسب نواة هذه القومية إضافة إلى أنها ذرع ثقافي ديني ضد أي تعصب أو اتجاه ديني أخر قد يجتاح المنطقة

إذن الوعدة لها بعد سياسي، إضافة إلى بعد الاجتماعي التواصلي التضامني الذي يحارب أشكال التفكك في مجتمعنا.

الخاتمة

الخـاتـمـة:

من خلال الدراسة التي خصصناها بعنوان :"وعدة ركب الأبيض سيدي الشيخ" استطعنا ان نلم ولو بالجزء اليسير من جوانب الدراسة ،وتحقيق فرضية ان الرغبة في التلاحم الاجتماعي بين فرق العرش ومقاومة التشتت الذي تعرض لهذا الاخيرهي ماجعل الوعدة تشكل أداة للرابطة القبلية وشكل من اشكال التضامن .ومن خلال معايشتنا للظاهرة تبين لنا ان الوعدة تشكل حدثا فرجويا اكثر من كونه حدثا دينيا مرتبط بعقيدة الصوفية وتقديس الاولياء والنذر لقبورهم في مواسم خاصة من السنة ،كما انها مناسبة مرتبطة بالقبيلة ورغبتها في الحفاظ على وجودها وبقائها من خلال احياء رموز كرم الضيافة والتعاون والتضامن بين العشائر المكونة للعرش من خلال إبقاء عامل الوحدة المتمثل في جد القبيلة وإبراز تراثها وخصوصياتها الثقافية.ان هذه التظاهرة الاحتفالية تمثل فضاءا مفتوحا امام جميع الفنون الشعبية ومسرحا شعبيا تعرض فيه مختلف الفنون الاستعراضية والترفيهية المرتبطة بعادات وتقاليد الشعب الجزائري واصالته ،ومناسبة سنوية لتمتين الروابط الاسرية والاجتماعية داخل القبيلة وحتى بين القبائل المجاورة وتجديد العهد مع رموزه الدينية وإعادة احياء تاريخه وبطولاته وتراث الامة بربط ماضيها بحاضرها و تعزيز روح الانتماء للجماعة والارض والوطن ،وعرض تراث الأجداد للابناء لحمايته من الاندثار في ظل سياسة التغريب الثقافي المفروضة على الشعوب .

انه لمن الضروري إعادة الاعتبار للثقافة الوطنية من اجل غرس شعور الانتماء و الاعتزاز حتى تكون سدا منيعا امام رياح العولمة وسياسة التغريب الثقافي التي تستهدف ثقافتنا العربية، وجعل العادات والتقاليد تتلاشى ولا تمارسها العامة في مناسباتها وافراحها في ظل طغيان الماديات وحلول مظاهر الثقافة الغربية محلها ،وبذلك تظل مثل هذه التظاهرات المناسبة الوحيدة التي يعرض فيها الفولكلور الشعبي وتراث الأجداد بكل عناصره.

رغم كل هذا الا انه بقي الشيئ الكثير لم نتطرق إليه في هذا الموضوع ، ومن بين المسائل التي لم نخض فيها وأثارت العديد من التساؤلات: لماذا دعم الإستعمار الفرنسي ماديا ومعنويا طقس الوعدة وغيرها من الطقوس كطقس التبرك بالأولياء؟ بالرغم من أن مثل هذه الطقوس تعتبر من التراث الشعبي الجزائري الذي كان يعمل الإستعمار الفرنسي على محوه كي لا تبقى معالم الأمة الجزائرية باقية في الوجود، ومن بين المسائل التي لم نتطرق إليها كذلك ، لماذا تحارب بعض التيارات الدينية طقس الوعدة ؟ كلها جوانب وأخرى لم نتطرق لها نظرا لشساعة الموضوع ونظرا لأن المعرفة العلمية تتطلب منا أن ندقق في دراستنا مااستطعنا إلى ذلك سبيلا خصوصا في دراستنا للظواهر الاجتماعية لأن هذه الأخيرة تعتبر دقيقة ومعقدة يصعب دراستها ولأن الإنسان يستطيع المراوغة واستعمال الحيلة في استجوابه.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد ألممت ولو بالشيئ القليل في دراستي هته خصوصا أن موضوع الوعدة قد اخذ ابعاد سوسيودينية كبيرة .

الملاحق

الملاحق

تناول الوافدين للوعدة وجبة الغداء

القوال

لعبة المطرق

رقصة العلاوي

لعبة القوم أو العلفة بالتعبير المحلي

ملعب الفروسية

أكلة الكسكسي

ضريح سيد الشيخ

نموذج المقابلة :

الخطوات :

- تقديم
- تحديد اهداف المقابلة
- تحديد افراد المقابلة
- تحديد مكان المقابلة
- تحديد أسئلة المقابلة

أولا : التقديم

السلام عليكم انا بصدد دراسة حول ظاهرة الوعدة وبالتحديد وعدة سيدي الشيخ فلو سمحت الإجابة على بعض الأسئلة التي ستساعدني في بحثي هذا واعلمك انك لست ملزما بالاجابةوشكرا .

ثانيا : اهداف المقابلة

التوصل الى تحقيق الفرضيات .

ثالثا : افراد المقابلة

احفاد سيدي الشيخ

بعض من موريديالوعدة

رابعا: مكان المقابلة

ولاية البيض

خامسا : الأسئلة

س1 :ماذا تمثل لك وعدة سيدي الشيخ ؟

س2: لماذا الوعدة لازالت تحافظ على استمراريتها رغم هذا التقدم ؟

س3: انت شخصيا لماذا تاتي الى الوعدة ؟

س4: هل في نظرك زوار الوعدة يأتون بدافع التبرك ام بدافع الفرجة والترويح عن النفس ؟

س5: هل السلطات المحلية تساعد على اقامتها ام لا ؟

س6 : هل ترى ان الوعدة قديما هي نفسها حديثا ؟

س7 : هل الوعدة مازالت تحافظ على الموروث الثقافي ام هناك اور عصرية طرأت عليها ؟

س8 : هل للوعدة دور في الجانب الاقتصادي للمدينة ؟

س9: في نظرك هل الأجيال القادمة ستحافظ على استمرارية الوعدة ؟

س10 : هل الوعدة لازالت تحافظ على تقوية الروابط الاسرية والقبلية؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع :

1)-ابن منضور جمال الدين محمد ، لسان العرب ، الدائرة المصرية للتأليف ، د ت ج10.

2)- إدريس محمود، **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ عند الأمة الإسلامية**، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د ت .

3)- آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، (ترجمة الهادي أبو ريدة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

4)-إبن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، دار الفكر، بيروت، 2004 .

5)-إبن خلدون عبد الرحمان، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تعليق الأب أغناطيوس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د ت .

6)-إبن تيمية، **الصدفية**، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 2000 .

7)-أبوفارس محمد عبد القادر، **الأيمان والنذور**، دار الشهاب، باتنة، 1991 .

8)- أبوعبد الرحمان، **طبقات الصوفية**، تحقيق نورالدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، د ت .

9)- أبي ظهير إحسان، **التصوف المنشأ والمصادر**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986.

10)- البيومي محمد أحمد، علم الإجتماع، الدار الجامعية، مصر، دون تاريخ.

11)- القشيري أبوالقاسم عبد الكريم بن هوازن، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1999.

12)- الزين سميح عاطف، **الصوفية في نظر الإسلام**، دار الكتب اللبناني، ط3، 1985

.13)- السهروردي، **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، د ت .

14)- الكلباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، د ت .

15)- العجم رفيق، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، دار الفكر، بيروت،ط1، 1999.

16)- العمايرة محمد الحسين، **أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية**، الطبعة الأولى، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1999.

17)- الرنديإبن عباد، **الرسائل الصغرى**، نشر الأب بولس نويا اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1957 .

18)- الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت .

19)- الميلي مبارك بن محمد، **رسالة الشرك ومظاهره**، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2001.

20)- التفتازاني أبو وفاء، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، 1988.

21)- الأخضر لطيفة، **الإسلام الطرقي**، دراسة في موقعة من المجتمع ومن القضية الوطنية، سراس للنشر، تونس، د ت .

22)- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980.

23)- الجمب بن عودة، **دور الزوايا والطرق الصوفية أثناء ثورة التحريرالكبرى**، أعمال الملتقى الوطني 1 و2، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 .

24)- الجوهري محمد وآخرون، **علم الفلكلور**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975 .

25)- الجوهري محمد، علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، 1985.

26)- الخشاب مصطفى، **علم الإجتماع ومدارسه ، المدخل إلى علم الإجتماع**، الكتاب الثاني، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1998.

27)- الخوري بولس و سيور البولسي، **عوائد العرب**، بيروت، دار الرائد العربي، 1983.

28)- الزمخشري جاد الله محمد بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيونالأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت .

29)- الإمام البوخاري، **صحيح البوخاري**، كتاب تفسير القرآن، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.

30)- المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج1، دار صادر، بيروت، 1963 .

31)- الغزالي أبو حامد، **مشكاة الأنوار**، تحقيق أبو العلي عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964 .

32)- النويري شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د ت .

33)- النجيحي محمد اللبيب، الأسس والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة ، 1980.

المجلات و الجرائد باللغة العربية

1)-بووشمة الهادي، الوعدة التمثل والممارسة، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 39-40 ، جانفي- جوان، 2008، ص84.

2)- رأس مال عبد العزيز، **المعروف المحدد بالمجال الخصائص والصيرورة**، المركز الوطني لبحوث ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر، 04. 01. 2001.

3)- زعيمي مراد، التكامل المنهجي في البحث، مجلة دراسات في المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

4)- سفاري ميلود، الإشكالية في العلوم الإجتماعية، مجلة العلوم الإجتماعية، قسنطينة، جامعة

الأطروحات والرسائل الجامعية

1. إبن عون بن عتو، **الجذور التاريخية لظاهرة التبرك بالأولياء**، مذكرة ماجستير في الأنثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2002.
2. بلعشاش حنان، **دور التيار الصوفي في الثورات الشعبية**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة بسكرة، 2013.
3. بلعربي خالد، **ظاهرة زيارة الأولياء في المجتمع الجزائري**، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1999.
4. بن لباد الغالي، **الزوايا في الغرب الجزائري**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2009.
5. خديجة بن فضيل،وعدة سيدي امحمدالواسيني بمغنية "دراسة في المظاهر الاحتفالية " مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الثقافة الشعبية تخصص التراث اللامادي الجزائري، تلمسان 2015 .

« The phénomenon of Alwaadah in Algéria

Waadah de sidi CHIEKH as a model »

Abstract :

The phenomenon of Alwaadah considered as the phenomenon the most important of the company traditional, in particular in the oust of Algéria, our study aims to note this phenomenon scientifically and find the reasons and motives presence and the extent of resistance extend the modernization and individuality and technological development, where we took la waadah de sidi CHIEKH which is located in the municipality ELABIADH SIDI CHIEKH wilaya of ELBAYEDH as a model, which is one of t biggest the Waadah in Algéria, where we used direct observation technique and participant observation and the interview in the field to address this phenomen.

Key words:*Alwaadah – mysticism – blessed – patriarchs.*

”ظاهرة الوعدة في الجزائر

وعدة سيدي الشيخ نموذجا"

الملخص:

تعتبر ظاهرة الوعدة واحدة من أهم الظواهر في المجتمعات التقليدية خصوصا في الغرب الجزائري، حيث تهدف دراستنا إلى ملاحظة هذه الظاهرة ملاحظة علمية ومعرفة أسباب و دوافع قيامها و مدى مقاومتها لمد العصرنة والتفردن والتطور التكنولوجي، إذ سنسلط الضوء على وعدة سيدي الشيخ التي تقع في بلدية الأبيض سيدي الشيخ بولاية البيض نموذجا التي تعتبر من أكبر الوعدات في الجزائر حيث طبقنا في تقنيات بحثنا تقنية الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة و المقابلات الميدانية التي رأينا أنها تنفع في مثل هذه الظواهر، ولتناول هذا الموضوع قسمت المذكرة إلى جانبين جانب نظري وجانب ميداني تناولت في الجانب النظري فصلين، الفصل الأول يحتوي الطرق الصوفية والزوايا، أما الفصل الثاني يضم الوعدة دوافعها ووظائفها، أما الجانب التطبيقي فيحتوي مباشرة على معروف سيدي الشيخ وعرض النتائج ومناقشتها.

الكلمات المفتاحية: الوعدة– التصوف – التبرك – الأولياء الصالحين.